

التواصل الثقافي بين

عمان و الجزائر

تأليف

د. محمد بن قاسم ناصر بن حجاج

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م



مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

هاتف : ٩٣٣٠٠٢٧

ص ب : ٢ السيب الرمز البريدي : ١٢١

سلطنة عمان

التواصل الثقافي بين عمان والجزائر

تأليف



الدكتور / محمد بن قاسم ناصر بوحجام

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

سلطنة عمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَهَيِّنًا

إنَّ التَّعاونَ الثقافيَّ بينِ إباضية المشرق والمغرب كان قائما منذ القلم في كثير من المجالات : في الفتوى والتعليم والتأليف والتراسل والتزاور...وما تزال هذه الصِّلة الثقافية قائمة إلى اليوم، في المجالات المذكورة وغيرها. قد يعترِبها ضعف ووهن في بعض الفترات، ونتيجة ظروف وعوامل خاصة، إلاَّ أنَّها لم تنقطع، وهي اليوم تزداد وتحسن، وتتوثق أكثر، يدعم هذا ويؤكدُه ما جاء في جريدة الحياة الجزائرية بعد اختتام أعمال اللّجنة المشتركة العمانيّة الجزائريّة في مسقط يوم : ٦. من شعبان ١٤١٤هـ الموافق لـ ١٩ من جانفي ١٩٩٣ م. جاء في هذه الجريدة : وقد بحثت اللّجنة سبل تطوير علاقات التعاون بين البلدين في مختلف المجالات : التّجارية والاقتصادية والسّياحية، وكذا تعزيز التعاون التّربوي والثقافي بين البلدين... كما اتَّفَقَ على إرسال خبراء جزائريّين لسلطنة عمان، واستقبال طلبة عمانيّين في مصالح التكوين الجزائريّة..^(١)

هذا التّواصل الثقافيّ المتين، الذي حصل ويحصل بين إباضية المشرق والمغرب الإسلاميّين في مسيرة المذهب الإباضي الطّويلة، يمكن أن يلحظه الدّارس في الأصول التي تربط الإباضية في المغرب الإسلاميّ بعمان من حيث النشأة الثقافية والفكرية،

(١) ينظر نصّ البيان المشترك الكامل، جريدة الحياة (الجزائر) ع : الأحد ١٠ من شعبان ١٤١٤هـ / ٢٣ من جانفي ١٩٩٣ م : ص : ١٦، ١٩٢، الأحد ١٠ من شعبان ١٤١٤هـ / ٢٣ من جانفي ١٩٩٣ م : ص : ١٦.

والانتماء الإيماني والمذهبي، والارتباط العاطفي، ومن حيث التدرج والتقدم في التكوين والتكوين والإعداد. كما يسجله ويستنتجه الباحث من اعتراف أهل المغرب بفضل عمان في رعايتهم والعناية بهم، ومن ثم الاستعانة بهم في إرساء قواعد المذهب وأسس في المغرب الإسلامي، والتطلع دائما إلى استمداد العون والقوة من عمان لضمان الثبات والاستمرارية، وكذا الاستعانة بها في حل مشاكلهم السياسية والمادية والمذهبية ؛ لكون عمان هي الموطن الأم للإباضية في العالم الإسلامي. ويلحظ الدارس التواصل الثقافي في استمداد عمان الطاقة الروحية والمعنوية والتأييدية من المغرب ؛ للتهوض بالمذهب الإباضي، وخدمة الثقافة الإسلامية.

كل ذلك جعل العلاقة الثقافية أو التواصل الثقافي بين عمان والجزائر قائمين دائما. وكان لذلك " أثره في توثيق الأخد ١٠ من شعبان ١٤١٤هـ / ٢٣ من جانفي ١٩٩٣ م : ص : ١٦. الروابط وازدياد الصلات بين الفريقين (إباضية المشرق وإباضية المغرب). وقد تعددت هذه العلاقات الثقافية وتنوعت، فمن رحلات علمية وتبادل للزيارات، قام بها علماء هذه البلدان، كل إلى بلد الآخر، ومن التقاء لهم على أرض مكة في موسم الحج، حيث يجتمع علماء الإباضية من المشرق والمغرب، يتبادلون الرأي والمشورة. ومن تبادل الكتب والمراجع العلمية، ومن مناظرات علمية، وطلب للفتوى فيما يستغلق عليهم فهمه من أمور الفقه والمذهب، إلى غير ذلك من الأمور التي أدت إلى زيادة الروابط الفكرية والثقافية والعلمية بين الجانبين.^(١)

يجب أن نسجل ونثبت أن هذه العلاقات كما يقول الدكتور فرحات الجعبري " انطلقت من منطلق عقدي واحد، ازداد تعمقا عبر الزمن " ^(٢).

(١) الدكتور رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، مطابع النهضة، مسقط، سلطنة عمان، سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م، ص : ١٤٨.

(٢) الدكتور فرحات الجعبري، علاقة عمان بشمال إفريقيا، ط ١. المطابع العالمية، روي، سلطنة عمان، ص : ٥٥. يرى الدكتور فرحات الجعبري " ضرورة إقامة دراسات مقارنة دقيقة بين

ومن هنا فإننا نقول إن هذه العلاقات تعبّر عن الوحدة الفكرية، التي تحرص الإباضية على المحافظة عليها في كل ممارساتها ونشاطها قدر المستطاع.

وبما أن عمان هي الوطن الأم للإباضية، فقد كان العمانيون يرون أنفسهم أوصياء على إخوانهم في المغرب ؛ ولهذا كانوا يتولون شؤوهم كما كانوا يعدّون هذه الجهة من العالم الإسلامي جزءاً لا يتجزأ منهم، وأنّ أمر المغرب أمرهم، وأئمة المغرب أئمتهم، ونرى مثلاً في باب (ذكر من أخذ عنه أهل عمان دينهم الصحيح) الذي أورده الإمام السّالمي ^(١) يقول " ثم الجلندي بن مسعود الإمام العماني، وأبي الخطاب وعبد الرحمن بن رستم الإمامين المغربيين وأصحابهم، ومن كان في طبقتهم، ثم محبوب بن الرّحيل، وهاشم بن عبد الله الخراساني، وموسى بن أبي جابر " ... ^(٢)

قرن الشيخ عبد الله السّالمي (ت ١٩١٤ م) هؤلاء الأئمة في حديث واحد، وذكرهم في سياق واحد، وخلع صفة الإمام المعلّم على المشرقي والمغربي على السّواء، يدلّ على هذه اللّحمة القويّة التي تربط تاريخ المغرب بتاريخ عمان، بل إنّ من يدرس أو يقرأ كتاب " السّر والجوابات لعلماء وأئمة عمان " يجزأه، يقف على هذه الحقيقة، وهي أنّ الإباضية عموماً يعدّون أنفسهم وأمرهم واحداً : المشرقيّ منه والمغربيّ. ففي سيرة الإمام محبوب بن الرّحيل (عاش في القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث الهجري) إلى أهل عمان يقول : " وكانت المحكّمة واحداً،

التأليف المشرقيّة والمغربيّة لثبّين ما بينهما من تكامل، لأنها كلها تقوم على أسس عقائدية واحدة * المرجع السابق، ص : ٤٨.

(١) ينظر الشيخ عبدالله بن حميد السّالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ١، ص: ٦٥، ٦٦.
(٢) الدكتورّة سيّدة اسماعيل كاشف، * إباضية عمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب *، ينظر كتاب : حصاد ندوة الدراسات العمانيّة، المجلد الثالث، ط ٢، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م، ص : ٣٠٢.

لو حكم رجل من المغرب تولاه من كان منهم بالمشرق، ولو حكم من كان بالمشرق تولاه من كان بالمغرب." (١)

معاملة الإباضية بعضهم بعضا بهذه الطريقة، ونظرتهم لبعضهم نظرة احترام وتقدير يدل على التلاحم ووثوق الصلة بينهم. ومن الأمثلة التي تثبت ذلك ما سجلته المصادر الإباضية من أن الرسل التي أرسلت حاملة لإعانة ثانية للإمام عبد الرحمن بن رستم (ت ١٧١). واعتذاره هو عن قبولها؛ لأن أهل بلده ليسوا بحاجة لها، إذ هم يتمتعون بالرِّخاء والعدل، بينما أهل المشرق (مصدر الإعانة) هم أولى بها. فبعد ردّ عبد الرحمن بن رستم هذه الإعانة زهدا وورعا ومراعاة لحال إخوانه في المشرق: "اجتمع الإباضية وقرروا أن الإمام عبد الرحمن جدير بأن يكون خلفا لأبي بلال مرداس وطالب الحق وأبي حمزة المختار" (٢) حتى وإن كان الاعتراف قد حصل بعد رجوع الرسل من تيهرت إلى البصرة، بعد تسليم عبد الرحمن الإعانة، إلا أن "هذا الاعتراف لم يأخذ الشكل الكامل إلا بعد أن أرسلوا له هذه المرة عشرة أحمال من الأموال مع نفس الرسل السابقين" (٣).

هذه الرواية تبين - بما لا جدال فيه - العلاقة الوطيدة التي تربط المشرق بالمغرب، وتبرز عمق هذا التواصل الفكري والثقافي.

إن الهيمنة الأبوية الروحية التي تسجل لإباضية المشرق على إباضية المغرب كانت بدافع توثيق الصلة، والتمسك بقوة بهذا الرباط الذي يجمع المشرق بالمغرب

(١) كتاب المنير والجوابات لعلماء وأئمة عمان ج ١، تحقيق وشرح الدكتورة سيّدة اسماعيل كاشف. ط ٢. مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، روي. نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م، ص: ٢٩٧. ينظر ما يعضد هذه الفكرة، وعدّ التاريخ المغربي جزءا من التاريخ العماني، ينظر ذلك كتاب: حصاد ندوة الدراسات العمانية / مج ٣. ص: ٣٠٥، ٣٠٦.

(٢) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣، ص ٢٩٣. ينظر هذه الحقيقة ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق الدكتور محمد ناصر والأستاذ إبراهيم بحار. المطبوعات الجميلة، الجزائر، سنة ١٩٨٦. ص: ٣٣، ٣٢.

(٣) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ص: ١٣٧.

الإسلاميين، وبنية تأصيل الإسلام والعروبة في أبناء المغرب الإسلامي، الذين هم في أمس الحاجة إلى من يأخذ بأيديهم من جهة ^(١)، ومن جهة ثانية كان يهدف أهل المشرق بهذه الهيمنة إلى محاولة نصرة إخوانهم في المغرب، الذين فرّ كثير منهم إليه من ظلم العباسيين والأمويين، وإلى حمايتهم من ضربات العبيديين، ومن يكد للإباضية، ومن جهة ثالثة كانت الهيمنة خوفا من تخلي الناس عن مذهبهم، إذا تكرّر الاعتداء عليهم، ولم يجدوا من يحميهم ولو معنوياً، ويبحث فيهم الثقة بأنفسهم، ويعينهم على الاستمساك بمذهبهم؛ برعايتهم واحتضانهم، والتكفل بهم في التكوّن والتثقف، وإشعارهم بانتماثلهم إليهم، ورعاية مصالحهم ومشاكلهم. وقد سجلت لنا كتابات المغاربة وكتب الطبقات المغربية بمجهودات العمانيين في صنع التاريخ المغربي الإسلامي.

هذه الملاحظات تبين لنا بوضوح لماذا كان إباضية المغرب يهتمون كثيراً بتاريخ إخوانهم في المشرق بعامة وعمان بخاصة، ولماذا كانوا يعنون بأخبارهم وسيرهم ويدونونها، وفي هذا تقول سيّدة إسماعيل كاشف: "إن تاريخ الإباضية في بلاد المغرب يبيّن بوضوح صلة المغرب الإسلامي بالمشرق وبالإباضية العمانيين، الذين حافظوا على هذه الصلة، والذي أصبح المغرب الإسلامي بفضلها أصيلاً في الإسلام والعروبة، كذلك يجد الباحث جوانب من أخبار المغرب الإسلامي العربي وتاريخ الإباضية فيه، وجهودهم في نشر الإسلام، وفي إنشاء الإمامة الإسلامية محفوظة في التاريخ العماني القديم والحديث، ومدوّنا في سير الفقهاء والعلماء الإباضية العمانيين" ^(٢)

(١) ينظر كتاب حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣، ص: ٢٦٥.

(٢) م. س. ص: ٣٠١.

تَمَّا ذكرناه وعرضناه تبرز لنا أهمية العلاقة بين عمان والمغرب الإسلامي، وانعكاساتها الإيجابية، التي نتطلع إلى معرفة نتائجها على مسيرة الفكر الإسلامي بعامة والإباضي بخاصة. ودارسة هذه العلاقة ضرورية، لتعريف الخلف بها، ولتوثيق التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب، ولتصحيح بعض المفهومات الخاطئة وإزالة الشوائب التي شانت هذه العلاقة أو ألصقت بها، ومن ثم العمل على تطويرها، بما يعود على الإسلام بالخير والفائدة.

في الصفحات الآتية نحاول عرض العلاقة بين عمان والجزائر ؛ لأنها علاقة متجذرة في التاريخ، تمتدّ إلى القرون الأولى للهجرة، وما تزال تشهد تطورات إيجابية كل يوم. نريد الكشف عن التواصل الثقافي بين عمان والجزائر، لأنه مجهول عند الكثير من الدارسين، فضلا عن عامة الناس. وقد فسرّ عند بعضهم تفسيراً خاطئاً، أو لم يفهم فهما سليماً...

هذه المحاولة نرجو أن نسهم مع المسهمين في إنصاف جزء من تاريخنا الإسلامي، وفي الوقت نفسه نحمل الآباء والقائمين على مراكز التوجيه والقرار مسؤولية التعريف بهذا التاريخ، وربط الأجيال به، ونهيب بالنشر والخلف البحث عنه، وتشربه واستلهامه، والسير على هديه، ليقوا أوفياء له ولصانعيه، وليعملوا على الإضافة إليه وإغنائه.

نحاول التعرض لبعض جوانب هذا التواصل الثقافي، من دون تناوله كله ؛ إذ أن هذا غير ممكن في دراسة محتشمة محدودة. وقد أسقطنا مثلاً في دراستنا هذه ما يتعلّق بجانب الشعر، أي تبادل القصائد بين المشرق والمغرب. وهو جانب مهم، في حاجة إلى دراسة خاصة ومركزة، ونحن لا نملك كما هائلاً من هذه القصائد التي تسمح لنا بالقيام بهذه الدراسة.

نشير في الختام إلى أننا كنا نتوسّع أحيانا خارج دائرة العلاقة بين عمان والجزائر إلى العلاقة مع المغرب الإسلامي بعمامة، لأن الارتباط بين دُولِهِ كان قويا ومتداخلا، يصعب على الدّارس الحديث عن إحداها من دون الإشارة إلى الأخرى أحيانا، وخاصة إذا كان الأمر يتعلّق بالقرون الأولى.

ننبّه أيضا إلى أن هذا البحث ألقي جزء منه في النادي الثقافي بالقرم (سلطنة عمان) في شهر ديسمبر من سنة ١٩٨٤ م. أي كان إعدادة في هذه الفترة. وبما أن نشره تأخّر كثيرا فقد سمحنا لأنفسنا بإضافة بعض المعلومات، وبعض الأعمال التي أنجزت بعد ذلك، خاصة في الملاحق ؛ لأننا رأيناها مكتملة للموضوع والله وليّ التوفيق.



* البدايات الأولى للتواصل الثقافي بين عمان والجزائر

مرّ الإباضية بظروف صعبة، فقد اضطهدوا وشرّدوا ولوحقوا وصودرت آراؤهم وأفكارهم، واضطروا إلى العمل بسريّة تامّة، كما حتمّ عليهم ما تعرّضوا له من مضايقات إلى السّير في الأرض، والتّنقّل من مكان إلى مكان، لنشر أفكارهم، والدّعوة لمذهبهم. وقد كان من بين المناطق التي رحل إليها الإباضية المغرب الإسلامي. وأوّل من قدم إليه داعياً إلى المذهب الإباضي هو سلمة ابن سعد الحضرمي، الذي وصل إلى هذه المنطقة في بداية القرن الثّاني الهجري على الأرجح. بفضل مجهودات هذا الدّاعية ورفاقه أخذ هذا المذهب في الانتشار في المغرب الإسلامي. وهو ما استدعى التّفكير في إعداد رجال يحملون هموم المذهب، ويتحمّلون مسؤولية التعريف به. إنّ هذه المهمّة بدورها تتطلّب التفرّغ لطلب العلم، والتّفقه في الدّين، والاجتهاد في الاستعداد الجيّد، والتكوّن الصّحيح السّليم، لذا اتّفق أهل المغرب مع مركز القيادة الإباضية في البصرة على إرسال مجموعة من الطّلبة إليها لهذا الغرض.

فعلاً رحل إلى البصرة ^(١) أربعة طلبة من المغرب الإسلامي هم : عبد الرحمن بن رستم، وعاصم السّدراني، وأبو داود القبليّ التّفزاوي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، ثم انضمّ إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري اليميني.

(١) كانت البصرة في تلك الفترة إحدى المراكز العلميّة المهمّة في البلاد الإسلاميّة، كما كانت مقراً للعلماء الأعلام من أهل عمان، حتّى كانت أن تكون عمانيّة كما تقول للكتورة سيّدة كاشف. بل كانت البصرة في عمومها عمانيّة في سكانها وعلمائها ١ لذا فإنّ الاتّصال بالبصرة معناه الاتّصال بعمان.

قال الشيخ عليّ يحيى معمر (١٩١٩ - ١٩٨٠ م) عن سلمة بن سعد وعن منهجه السليم في الدّعوة إلى الإسلام : "إنه كان " يتخيّر الشباب الذين يتوسّم فيهم الصّفاء والذكاء والتّبوغ، ويدعوهم إلى السّفر إلى المشرق لاستكمال دراستهم على كبار تابعي التابعين... وقد استطاع أن يرسل الفوج الأوّل من تلميذ واحد ^(١) إلى البصرة ثمّ استطاع أن يكوّن بعنة من أربعة طلاب ^(٢) " وقد مكث هؤلاء الطّلبة في البصرة خمس سنوات (١٣٥ - ١٤٠ هـ) يتلقّون العلم على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت ١٤٥ هـ)، رجعوا بعدها إلى المغرب الإسلامي لبيدوا العمل في الدّعوة ونشر العلم، وهم الذين عرفوا بحملة العلم إلى المغرب. تعدّ هذه الرّحلة هي البداية الحقيقية في التّواصل الثقافي بين المشرق والمغرب.

حتّى تكون الانطلاقة حسنة، والبداية قوية، والعلاقة الثّقافية بين عمان والبصرة مع المغرب مؤسّسة على أسس صحيحة، فإنّ أبا عبيدة الزّعيم الرّوحي للإباضية بعد الإمام جابر بن زيد (ت ٩٣ هـ) قدّم لحملة العلم الخمسة إلى المغرب - بعد انتهاء مدّة تعلّمهم عليه - وصايا ونصائح، وفيها مكّن وسّمح لعبد الرّحمن بن رستم بأن يفتي بما سمع منه، وبما لم يسمع، وأمر أبا الخطاب أن يفتي بما سمع منه فحسب، وأمر أبا درار ألا يفتي تماما ، لا بما سمع منه ولا بما لم يسمع ^(٣).

تدلّ هذه الوصيّة القصيرة على هذه العلاقة الرّوحية والأستاذيّة، التي ربطت أبا عبيدة البصري بطلبته المغاربة، وحرصه على بقائها ودوامها بين المشرق والمغرب،

(١) هذا التلميذ هو أبو عبدالله بن مغطير الجنائوني القوسي، الذي كان أوّل من جمع القرآن كلّهُ في جبل نفوسة وحفظه. وقد كان أوّل مغربي يمسافر لطلب العلم. ينظر : كتاب حصاد ندوة التّراث العمانيّة مج ٣، ص : ٢٧٤، ٢٧٥. وعن هذا التلميذ ينظر أحمد بن سعيد بن عبدالواحد الشّعاخي، كتاب السّير ج ١، تحقيق أحمد بن سعود السّنيابي، مطابع النهضة، مسقط، نشر وزارة التّراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص : ١٢٨.

(٢) عليّ يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة : الإباضية في الجزائر ط١، مطبعة الدّعوة الإسلاميّة، القاهرة. نشر مكتبة وهبة القاهرة. سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ص : ٢٣، ٢٤.

(٣) علاقة عمان بشمال إفريقيا، ص ٢٢.

وعلى إخلاص الشيخ نحو أبنائه الرّوحيين، ورغبته وأمله في رؤية طلبته نجوما ساطعة وشموعا مضيئة ورجالا أكفاء في الميادين التي يتولّوها ؛ ولذلك سمح الإمام أبو عبيدة لنفسه أن يمنح لعبد الرّحمن بن رستم الحرّية في الإفتاء، وأن يمنح أبا درار الغدامسي منه، ويقيد بحال الإفتاء لأبي الخطّاب. لكنّه لم يعارض اسماعيل بن درار حينما سأله في أثناء الوداع، بعد انتهاء مدة التّلقّي والتعليم نحو ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام. وقال له: أردت أن تكون قاضيا يا ابن درار، فقال له أرايت إن ابتليتُ بذلك يا شيخ...^(١)

وكان حملة العلم إلى المغرب قد استشاروا شيخهم أبا عبيدة واستأذنوه في أن يؤمروا عليهم أحدا إن أنسوا من أنفسهم قوّة، وكان في مقدورهم إقامة دولة، وقد أذن لهم بذلك. بل حذّره من التّأخّر في هذا الإنجاز، وأشار إلى أبي الخطّاب، وقال لهم إن أبي فاقتلوه.^(٢)

هذه الشّذرات تُبين عن هذه العلاقة الرّوحية التي كان لهل شأن كبير في تمثين الصّلة بين المشرق والمغرب فيما تلا من الأيام.

حدث وأن وقع خلاف بين المسلمين^(٣) (الإباضيين) في مسألة الحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار اللّذين وجدا مقتولين، وقد دُسّ من يضع سيف كلّ واحد منهما في جسم الثّاني أو جثته ؛ ليقال إنهما قتلا بعضهما. وكانت الدّسيسة من

(١) ينظر أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي، نشر المكتبة الوطنيّة، الجزائر سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ص : ٣٦. وسير الشّماخي ج ١، ص : ١٢٧.

(٢) ينظر كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ص ٣٦، وسير الشّماخي ج ١، ص ١١٤.

(٣) كلمة المسلمين أو جماعة المسلمين تعني الإباضية فيما كتبه أصحاب هذا المذهب في النصوص المتقدّمة. إذ أنّ كلمة * الإباضية * لم تظهر في كتاباتهم إلا متأخرة في حدود القرن الثّالث الهجري، ينظر مثلا الدكتور فرحات الجعبري، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مطبعة الألوّن الحديثة، سلطنة عمان، سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م، ص : ٥٦.

تدبير والي القيروان عبد الرحمن بن حبيب^(١) الذي خاف من قيام الدولة الإباضية من جديد : " وأن يبايع الإباضية في أفريقيا والمغرب الأوسط الإمامة في طرابلس، فضلا عن أن قيام الدولة الإباضية في طرابلس سيقطع صلته بالمشرق "^(٢)

هذه الحادثة أثارت الفتنة بين صفوف الإباضية وخلافا كبيرا بين من يرى التبرؤ من الرجلين، ومن يرى توليتهما، ومن يفضل الوقوف فيهما، فلما اشتد الخلاف كان الملحق والمفزع والموئل هو المشرق وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالذات، ليُعرض عليه الأمر ويُستشار فيما يجب عمله، وكانت الإجابة واضحة ومقنعة.^(٣)

وقد تضمنت الرسالة محاور عدة. من بينها التحريض على التقوى والمحافظة على الأخوة الإسلامية، ونبد التنازع والاختلاف، وبسط الحديث عن قضية الحارث وعبد الجبار، وما ترتب عنها من اختلاف الناس بين الولاية والبراءة والوقوف.^(٤) "وفعلا تصل الرسالة إلى أهل المغرب ويسدل الستار على هذه القضية، ومعنى ذلك أنها فعلت فعلها وألفت بين القلوب ".^(٥)

يبقى حملة العلم ومعهم أهل المغرب على صلة بالإمام أبي عبيدة، يستشيرونه ويفزعون إليه في الملهمات، ويأخذون برأيه فيما يستجد من أمور.

فلما قامت دولة أبي الخطّاب في طرابلس حرص إباضية المغرب على توطيد العلاقة بإمام المذهب الثاني أبي عبيدة وبإخوانهم في المشرق، فأرسلوا إليه

(١) كان الإباضية - بعد مقتل زعيمهم في طرابلس سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م - قد انتخبوا الحارث بن تليد الحضرمي ١٣١ هـ / ٧٤٩ م إمام دفاع لهم. واختار الحارث عبد الجبار بن قيس المرادي ليكون قاضيا ومستشارا له.

(٢) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣، ص ٢٨٢.

(٣) تراجع الرسالة كاملة، الدكتور مبارك بن عبدالله الراشدي، أبو عبيدة آثاره وفقهه، رسالة دكتوراة الحلقة الثالثة (مخ) الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، الجامعة التونسية، السنة الدراسية ١٩٨٩ / ١٩٩٠، الملحق، ص : ٦٧٤، ٦٧٩.

(٤) ينظر تعليق على هذه الرسالة كتاب علاقة عمان بشمال إفريقيا، ص : ١٦ - ١٩.

(٥) م. س. ص : ١٩.

رسالة ^(١) يخبرونه فيها بقيام الدولة التي كانوا قد استشاروه فيها قبل مغادرة البصرة، إن هم قدروا على ذلك، كما عرضوا عليه بعض المسائل وطلبوا منه إجابته عنها، بصفته شيخهم ومرجعهم في شؤونهم.

وقد سرَّ أبو عبيدة بهذه الرسالة، وهذه اللفتة من تلاميذه ومن أبناء المذهب. يعدّ هذا التصرف خطوة إيجابية ومهمة في مزيد من توطيد العلاقة بين المشرق والمغرب : " أنا كتابكم تذكرون فيه ما منَّ الله به عليكم من جمع كلمتكم واتتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم، ولعمري ما كثرتهم وإن كثروا بأكثر ممن كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم، فاقتدوا بهم فمن عليكم كثرتهم.

نسأل الله لكم العون والتوفيق في جميع أموركم، وأن يكفيننا وإياكم بأسهم، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم، ويشفي صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم....

فلعمري لقد سرَّني ما انتهيت إليه من أمركم، وإن كان ذلك لم يخفَ عنا، غير أننا لم نظنَّ الذي كتبتم به إلَيَّ، والله سيِّتم لكم الخير كله بعونه وتوفيقه.

أنا كتابكم بمسائل، فمنها ما رأيت أن أجيبكم فيها، ومنها ما رأيت ألاَّ أجيبكم فيها، من غير هوان ولا تقصير، إلاَّ الذي رأيته أصلح لجماعتكم، وأقوم لشأنكم، وأرفق لضعيفكم، وأعطف لقويكم وأجمع لأموركم، وما توفقي إلاَّ بالله... وفقنا الله وإياكم لما يحبُّه ويرضاه... " ^(٢)

(١) يذكر فرحات الجعبري أن الرسالة، وجهها عن إباضية المغرب، إلى أبي عبيدة الشيخ إسماعيل بن سليمان المغربي، ويقول : لعله أحد عمال الإمام أبي الخطاب، ينظر المرجع السابق، ص : ٢٠.

(٢) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، رسالة مسلم بن أبي كريمة في الزكاة للإمام أبي الخطاب المعافري، سلسلة * تراثنا * عدد : ٣٤. نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٩٨٢ م، ص : ٣.

إنَّ هذه الرِّسالة تكشف عن مدى العلاقة الروحية الوطيدة التي تربط المشرق بالمغرب، ومركز القيادة في البصرة برواد الدَّعوة وقادتها في المغرب الإسلامي. كما تُبيِّن حرص أبي عبيدة ومن معه ومن جاء بعده من الزَّعماء الروحيين للجماعة الإباضية على توفير أسباب الاستقرار والنَّجاح للدولة الخطَّابية الفتيَّة، وللدَّول التي تتعاقب بعد ذلك. يبدو ذلك في طريقة الإجابة، والتَّمييز بين ما يمكن الإجابة عنه، وما يتعذَّر، وما يؤخَّل؛ استجابة للظُّروف التي تمرُّ بها الدَّولة الجديدة في المغرب، وما يعيشه الإباضية بعامة. كما يوكِّد هذه العلاقة الحميمة ائتمارُ أهل المغرب بأوامر مركز القيادة في البصرة وأئمتهم، واستشارتهم والاستئناسُ بأرائهم. بل إنَّهم يرجعون " بالمشورة إلى أهل المشرق في الكبيرة والصَّغيرة، ولا يطعننَّ لهم بال حتى ترد الرِّسل أو الأجوبة من هناك. " (١)

هناك مسألة مهمَّة، تتعلَّق بالبدايات الأولى للعلاقة بين إباضية المغرب والمشرق والاتِّصالات بينهما. وهي هل يمكن العثور على ما يثبت حصول اتِّصالات بين أهل المغرب وإمام المذهب الإباضي جابر بن زيد؟

هذه المسألة أثارها الدكتور فرحات الجعبري. (٢) فهو يسجِّل - أسفا - أنَّ الرِّسائل القليلة التي عثر عليها، تمَّا ينسب إلى جابر بن زيد، ليس فيها ما يشير إلى حصول أيِّ اتِّصال بينه وأهل المغرب، والأمر نفسه ينسحب على المصادر والمراجع الإباضية وغير الإباضية، التي ترجمت لجابر بن زيد، إلَّا أنَّ الدكتور لا يستبعد حصول هذا الاتِّصال، سنَّده في هذا هو ما شهدته العلاقة بين المشرق والمغرب من قفزة نوعية وقوِّية في المرحلة الأولى من تولِّي الإمام الثَّاني أبي عبيدة مسؤولية الدَّعوة في البصرة، إثر خروجه من سجن الحجاج. فهو يرى أنَّ هذه القفزة القويَّة

(١) علاقة عمان بشمال إفريقيا، ص : ٥٥.

(٢) م. م، ص : ١٣.

لا يمكن أو يصعب أن نسجل أنها حصلت من دون تمهيد سابق، لذا فإنَّ أمله كبير أن يجود الزّمن ببعض الوثائق، التي تسجّل وقوع هذا الاتّصال.

أمّا نحن فإنّنا نستبعد حصول هذا الاتّصال من وجوه :

(١) إنّ جابر بن زيد لم يكن معروفاً، لأنّ دعوته كانت تعيش أو تتحرّك في سرّية تامّة. إنّما كانت محاصرة حصاراً شديداً من الدّولة الأموية وعمّالها كزياد ابن أبيه، وابنه عبيدالله والحجّاج....

يكفي أن نذكر أنّ جابر بن زيد قد نفى إلى عمان، كما أنّ المغرب الإسلامي كان بعيداً عن مركز الإباضية وجابر بن زيد في البصرة. فكيف تصل أخباره إلى أهل المغرب وسط هذه الأجواء المحمومة والمكفّهرة.

(٢) إنّ أوّل داعٍ قدم إلى المغرب يدعو إلى المذهب الإباضي هو سلمة بن سعد، وقد كان ذلك أواخر القرن الأوّل الهجري وأوائل الثاني^(١) وهي الفترة التي تُوفّي فيها الإمام جابر بن زيد. وسلمة بن سعد كان يدعو الله أن يوفّقه إلى إظهار المذهب الإباضي ولو يوماً واحداً، ثم لا يبالي إن ضربت عنقه بعد ذلك مباشرة : " حدّث غير واحد من أصحابنا عن الإمام أفلح، وعن أبيه عبدالوهاب عن جدّه عبدالرحمن بن رستم أنّه قال : أوّل من جاء يطلب مذهب الإباضية بقرى إفريقيا سلمة بن سعد... فسمعت سلامة يقول: وددت لو ظهر هذا الأمر، يعني مذهب الإباضية يوماً واحداً، من أوّل النهار إلى آخره، فلا آسف على الحياة بعده. " ^(٢) يدلّ هذا على أنّ المذهب الإباضي كان غير معروف في المغرب إلى حين

(١) حصاد ندوة التّراصات العمانية مج ٣، ص : ٢٧١.

(٢) أبو العباس أحمد بن سعيد النرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، ج ١ تحقيق الأستاذ إبراهيم طلائع، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر) (من دون تاريخ)، ص : ١١، ١٢. ينظر مسير الشّماخي، ج ١، ص : ٩٠، ٩١.

وفاة جابر بن زيد، فكيف يمكن أن يحصل اتصال أهل المغرب بإمام
المذهب ؟

(٣) إنَّ الإمام عبدالرحمن بن رستم (ت ١٧١هـ) أحد حملة العلم الخمسة إلى
المغرب، الذين كان لهم دور كبير في انتشار المذهب الإباضي في المنطقة.
هذا الإمام حين يسمع بسلمة بن سعد، يتحمَّس لأمر التعلُّم والتَّكوُّن
والتَّحصيل. فيشار إليه بوجود رجل عالم في البصرة يمكن له أن يجد فيه
رغبته ومطلبه.... فأحد حملة العلم يرغب في التعلُّم، فيحتار إلى أين يتوجه
لاشباع نهمه من العلم، حتى يُدَلَّ على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (
أستاذه بعد ذلك) والإمام الثاني للمذهب الإباضي. فهو يجهل أبا عبيدة،
فكيف له أن يسمع بجابر، فضلا عن أن يعرفه، ويعرف مركز البصرة :
"... فقام عبدالرحمن مجتهدا في ذلك الأمر، فقال له رجل من أهل الدَّعوة
إن كنت تريد العلم بما كلفت به، وعلقت مطلبه بخاطرك، فدونك أرض
البصرة، فإن بها رجلا عالما يكتني أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة التَّميمي،
فإنَّك تجد عنده ما تطلب...^(١)

لهذه الأسباب التي ذكرناها فإننا نرجِّح ونقول إنَّ الاتصال بين جابر بن زيد وأهل
المغرب لم يحدث، وإنما حصل بداية مع تلميذه أبي عبيدة التَّميمي. ومن جاء بعده.
وكان لهذه البداية أثرها الكبير في مسيرة أهل المغرب الطَّويلة والمثمرة بعد ذلك،
ولهذا كان فضل عمان على المغرب الإسلامي كبيرا. هذا ما نشير إليه فيما يأتي :

(١) طبقات المشائخ بالمغرب ج ١، ص : ١٢. ينظر أيضا كتاب سِير الأئمَّة وأخبارهم،
ص : ٣٦.

* فضل عمان على المغرب الإسلامي:

أخذت عمانُ مركزَ القيادة بالنسبة للإباضية، بالنظر إلى أن المذهب الذي ظهر في البصرة، كان إمامه الأوّل جابر بن زيد عمانيّ الأصل، كما كان علماءه الأوائل من أصول عمانية، حتّى انتشاره في البصرة كان بين سكّان عمانيّين، أو ينحدرون من أصول عمانيّة. وكان الذين أسهموا في تثبيت أسس المذهب، ونشر أفكاره وآرائه، والقائمون على التعليم والتكوين والإعداد، وإرسال حملة العلم إلى المشرق والمغرب، بعد التكوّن والتحصيل... كان كلّ أولئك عمانيّين.

كما أن عمان تبوّأت مكانة مرموقة، وأصبحت مركز الثقل السياسي المهيمن على بقية المناطق، التي وجد فيها الإباضية : دعوة ودفاعا ونصرة له...وقد عبّر العمانيون عن ذلك بقولهم: "باض الدّين بمكة وفرّخ بالمدينة، وطار إلى البصرة، ونهض إلى عمان." (١)

لهذه المكانة السّامية التي تحتلّها عمان في نفوس الإباضية، وجدنا أهل المغرب يتعلّقون كثيرا بإخوانهم في البلد الأم للإباضية؛ يستعينون بهم في تكوّنهم وتنقّفهم، ويلجؤون إليهم في حلّ مشاكلهم، ويرجعون إليهم في الفتوى وفي الاستشارة، وفي تدعيم كيّانهم. وقد أوفدوا بعثات علميّة للتكوّن على أيدي علماء الإباضية في عمان والبصرة، وأرسلوا رسائل علميّة إلى إخوانهم هناك. وقاموا بزيارات لهم، واستقبلوا هم رسلا وعلماء، وتلقّوا منهم رسائل، إلى غير ذلك من الوسائل التي اعتمدها لتدعيم علاقتهم بالمشرق الإسلامي.

(١) سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، العقود الفضية في الأصول الإباضية، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م ص : ١٤٨.

مما يثبت تعلق الإباضية المغاربة بالمشاركة في بداية وجودهم بالمغرب، وفي بداية تكونهم ونشأتهم ما نقل عن الإمام عبدالوهاب ابن عبدالرحمن بن رستم (ت ٢٠٨ هـ) أنه كان شغوفاً بالعلم، وحريصاً على التفقه في الدين، ولتحقيق غرضه وتلبية رغبته، توجه وجهه المشرق فأرسل إلى إباضية البصرة بألف دينار، ليشتروا له بها كتباً، ابتاعوا له ورقاً، ونسخوا له وقر أربعين جملاً كتباً، فأرسلوها إليه، ولما وصلته قرأها كلها. ^(١)

يضاف إلى ذلك دعوات زعماء أهل المغرب الملحة الناس والطلبة إلى دراسة كتب إخوانهم المشاركة، لأنهم يرونها الجديرة بأن تكونهم وتعلمهم. من هذه الدعوات قول الإمام أفلح بن عبدالوهاب (ت ٢٥٨ هـ) " عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة (أي الإباضية) ولا سيما كتاب أبي سفيان. " ^(٢)

تخصيص سيرة أبي سفيان بالدراسة والعناية، له دلالة في التعبير عن الرغبة الملحة في التزوّد من منابع الأولى والمصادر الصحيحة للمعرفة. إن هذه السيرة كانت لها أهمية كبيرة عند الإباضية بعمامة إذ كانت عملهم " في التعريف بنشأة المذهب وبعلمائه الأول ؛ لأنه من الرّغيل الذي أخذ عن أبي عبيدة وعن الربيع، وإنا لنرجو أن يسعف الزّمن به... " ^(٣)

لقد استفاد المغاربة كثيراً من سيرة أبي سفيان في التعرف على المذهب الإباضي، في أصوله وتاريخه وعلمائه، كما استفادوا من علمه من خلال حضورهم حلقاته التي كان يقيمها في مكة ومنى في موسم الحج. من هنا يبدو لنا فضل عمان على أهل المغرب الإسلامي من خلال نشاط علمائها.

(١) ينظر طبقات المشائخ في المغرب ج ١ ص : ٥٦، ٥٧، وسير الشماخي ج ١، ص : ١٤٢.
(٢) أبو القاسم البرادي، رسالة فيها تقييد كتب أصحابنا. ينظر الدكتور عمّار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م. ص : ٢٨٤.
(٣) علاقة عمان بشمال إفريقيا، ص : ٢٨.

ومن الأمثلة على تعلّق المغاربة بالمشاركة، وحرصهم على التكوّن على أيديهم وعلى كتبهم، واستثناسهم بتأليفهم وتصانيفهم ما روي عن أبي العباس أحمد بن أبي بكر محمد بن بكر الفرسطائي (ت ٥٠٤ هـ / ١١١١ م) أنّه قال : " كنت أقرأ على الشيخ سعدون، فجازت مسألة ذبيحة الأقفال قال : في أكلها قولان فلم ينسبهما، فدخلت إلى الديوان، وكان يجمل نفوسة ديوان اشتمل على تأليف كثيرة، فلازمت الدرس أربعة أشهر، لا أنام إلاّ في ما بين أذان الصّبح إلى صلاة الفجر، فتأمّلت ما فيه من تأليف أهل المشرق فإذا هي تقرب من ثلاثة وثلاثين ألف جزء كلّها لأهل المذهب، فتخيّرت أكثرها فائدة، فقرّأته. ^(١) "

هذه الرواية وهذا الخبر يدلان دلالة واضحة وقويّة على اعتماد إباضية المغرب في المجال التكويني على إخوانهم المشاركة، ومن ثمّ يسجّلان فضل عمان على أهل المغرب، بوجود هذا الكمّ الهائل من الكتب في المنطقة، قرأها أبو العباس باحثاً عن إجابة مقنعة لمسأّله. وفي تنصيب أبي العباس على هذه التأليف إقرار منه بفضل أصحابها على أهل المغرب.

يضيف الأستاذ إبراهيم بحار دليلاً آخر على تعلّق المغاربة والمشاركة، ورغبتهم في السير على سننهم، وترسم خطاهم فيقول: " ولا أدلّ على علاقة المغرب بالمشرق من ذلك الرّباط الذي لا ينفصم ولا يزال مستمراً، ويتجلّى بوضوح في تقليد المغرب للمشرق، فأیما مشكلة أو مسألة فكريّة نوقشت هناك، إلاّ وتجّد أصداءها في المغرب. ولقد شهد المشرق خلال القرن الثالث الهجري تطوّراً كبيراً في الفكر العربي الإسلامي. حاول المغرب بما أوتي من قوّة مسايرة ذلك الفكر والوصول إلى مستواه ضمن حدوده الجغرافيّة والزّمانيّة. ولعلّ في مناظرات المعتزلة لإباضية المغرب

(١) سير السّماخي، ج ٢، ص ٩٠، ينظر أيضاً طبقات المشائخ بالمغرب ج ٢، ص : ٤٤٥.

أكبر دليل وأوضحه على العلاقة وأوجه الشبّه بين المشرق والمغرب
العربيّين... " (١)

هكذا يتبيّن لنا فضل المشرق بعامة وعمان بخاصّة على المغرب الإسلامي من
حيث التكوين والتثقيف والإعداد، فهناك كتب مشرقيّة رحلت واستقرّت في
مكتبات المغرب ؛ ليتعلّم منها وعليها المغاربة. وهناك تطلّع إلى كلّ ما يبدو في
المشرق من علم، ومن وسيلة للتزوّد من المعرفة والتفقه في الدّين، والتّكون في مختلف
المجالات، ومحاولة الظّفّر به. ويظهر هذا الفضل في تقليد المغاربة للمشاركة في طريقة
التّفكير ونوعية الموضوعات التي يناظر فيها وتناقش، لفرط تعلّق أهل المغرب بأهل
المشرق ؛ بما يثبت التّواصل الثّقافي بينهما.

كما يبرز هذا الفضل في مظاهر أخرى، مظاهر الدّعم المعنوي لإباضية المغرب،
قصد تمكينهم من تدعيم كيّانهم، وحسن تدبير أمورهم وإقامة شؤونهم، مثلما
حدث في تدعيم الدّولة الرّستميّة.

* الدّعم المعنوي والمادّي للدّولة الرّستميّة :

إنّ العلاقة بين إباضية المشرق وإباضية المغرب كانت تزداد تطوّرا ومتانة بمرور
الزّمن وتعاقّب الأيام. حيث تقرأ في المصادر والمراجع الإباضية وغيرها عن الدّعم
المادّي والمعنوي المشرقي للدّولة الرّستميّة، التي قامت في الجزائر في أعقاب سقوط
دولة أبي الخطّاب في طرابلس.

(١) بحّاز إبراهيم بكير، الدّولة الرّستميّة، دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكرية، ط ١
مطبعة لافوميك، الجزائر، سنة ١٩٨٥، ص : ٣٩٨.

أول دعم معنوي لهذه الدولة هو اعتراف عمانيّ بصريّ بها؛ فقد تردّد على الألسن أن مؤسس الدولة الإمام عبدالرحمن بن رستم "سوف يملك المشرق ويملؤه عدلاً، فانفضوا إليه بما معكم من هذه الأموال..."^(١)

هذا الشعور وهذا الأمل اللذين راودا أهل عمان والبصرة هما تعبير صادق عن الإحساس بالعلاقة الروحية، التي تربط المشرق بالمغرب ودليل واضح على نيّتهم المخلصة في توثيق العلاقة وإحكامها بين القطبين.

هذا التعلّق بإمامة عبدالرحمن بن رستم، التي قامت في المغرب تعبير عن أمل المشاركة في إنقاذ الإباضية من حالات العسر والضيق التي يمرّون بها؛ بسبب الهيمنة العباسية، وتسلّطهم وظلمهم، ومضايقتهم للإباضية، فقد مرّ هؤلاء بظروف عصيبة، كادت تعصف بهم، وتقضي عليهم، وكان الضعف يدبّ إلى نشاطهم؛ ولذا كانوا يستعدّون إلى الانتقال من البصرة إلى عمان. وكانت عمان نفسها ما بين قيام الإمامة الأولى ١٣٢هـ / ٧٥٠م والإمامة الثانية ١٧٧هـ / ٧٩٣م خاضعة للدولة العباسية، وكان أهل عمان يعيشون الأوضاع نفسها التي يعيشها إخوانهم في البصرة من الملاحقة والمضايقة، حتى خشوا أن يقضي على مذهبهم.^(٢)

إذن إنّ تعلّق إباضية المشرق بهذا المولود الجديد (الدولة الرّستمية) كان منطقياً، فقد وجدوا فيه عاملاً نفسياً يخفّف عنهم وطأة الظلم والاضطهاد، ويشجّعهم على التمسك بمذهبهم؛ إذ ظفروا بمن يعوّض لهم ما فاتهم من سقوط الإمامة، التي قامت على يد الجلندي ابن مسعود سنة ١٣٢هـ. وكانوا يعتقدون آمالاً عريضة على الدولة الرّستمية في النهوض بالمذهب، أو على الأقلّ ضمان بقائه.

(١) أخبار الأئمة الرّستمين، ص : ٢٨. ينظر أيضاً سليمان باشا الباروني، الأزهار الرّياضية في أئمة وملوك الإباضية، الجزء الثاني، تحقيق محمد علي الصليبي، المطابع العالمية، روي، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م. ص : ١٣٣، ١٣٤.
(٢) ينظر الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ص : ١٣٤.

تقف الدولة على قدميها، وتتوطد العلاقة بينها والمشرق ؛ فتجد الدعم الكامل من الإخوة هناك. وقد كانت مظاهر هذه المساندة كثيرة ومتعددة. منها الاعتراف بعبد الرحمن بن رستم إماما لكل الإباضية في المشرق والمغرب على السواء، وذلك بعد اجتماع أهل المشرق، واختبار مدى قوة شخصية الإمام وقدرته على تسيير الدولة. (١)

ويتمّ الدعم بتقاسم العون المادي للدولة، وإرسال الأموال اللازمة لتثبيت أركان هذه الدولة، ثم بالرعاية الكاملة، والعناية الشاملة؛ بإسداء النصائح والإرشادات، وإصدار الفتاوى... مما يساعد الدولة على حلّ مشاكلها في المجالات المختلفة، وبما يعينها على التطوّر والتقدّم والازدهار.

كما لقي الإمام عبد الرحمن بن رستم احتراما كبيرا عند المشاركة، ونال حظوة خاصة، لما أظهره من كفاية في إمامة المسلمين، ولما أبداه من زهد وورع، فرغب أهل المشرق في إمامته، ورأوها فرضا عليهم. كذلك نال ابنه عبد الوهّاب الشرف نفسه، فلقد سار على نهج أبيه، وأظهر من الكفاية في سياسة الأمور، ما أدهش أهل المشرق ؛ حتّى قال فيه الإمام الربيع بن حبيب (ت ١٧٠هـ) إمام الكتمان في البصرة في مجالسه " عبد الوهّاب إمامنا وثقتنا وإمام المسلمين أجمعين ". (٢)

يتوالى دعم المشاركة للدولة الرّسميّة؛ ربطاً للصّلة، وتوثيقاً للعلاقة بين المشرق والمغرب، وتتابع الرّسائل إلى مركز القيادة في البصرة من المغرب، تحمل هموم

(١) ينظر أخبار الأئمة الرّسميين، ص : ٣٢، ٣٣، ٣٥، والأزهار الرّياضيّة ج ٢، ص : ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨.

(٢) سير السّمّاخي، ج ١، ص : ١٣٤. جاء في طبقات المشايخ بالمغرب ج ١، ص : ٥٥ * عبد الوهّاب إمامنا وثقتنا وإمام المسلمين *

المغاربة وشكاويهم من مستجدات الأمور. تطلب هذه الرسائل حلولاً وفتاوى وإجابات مقنعة واستشارات في مسيرة الحركة.

فحين حدثت ثورة يزيد بن فندين على الإمام عبدالوهاب الذي كان يرى نفسه أولى بالحكم من عبدالوهاب. وكان يتربص به، ويتحين الفرص، ويراقبه في تصرفاته، ويتسقط أخطائه؛ حتى لاحظ أن عبدالوهاب نقض الشرط الذي اشترطه عليه المسلمون، وهو عدم إبرام أمر أو الإفضاء في شأن من الشؤون إلاّ بجماعة معلومة معينة من الإباضية. فبدأ لابن فندين أن الإمام خالف هذا الشرط. فكان يولي عمّالاً على مدن الدولة ثم يرى فيهم حسن السيرة والكفاية في تولي المناصب، من دون الرجوع إلى الجماعة. ولم يكن ابن فندين من هؤلاء العمال، فثارت ثائرتة، وغرّر بمجموعة استمالهم إليه، فأثارهم ضدّ الإمام...

لما استفحل خطر ابن فندين وتطوّرت الفتنة لم يجد أهل المغرب سوى الربيع بن حبيب (زعيم الإباضية في البصرة) من يكتبونه في الموضوع، ويستفتونه فيما حدث، وما يجب عمله، فراسلوه. وقد جاء الجواب منه أن ما صنعه الإمام عبدالوهاب صواب وإمامته صحيحة والشرط باطل.^(١)

كما استشار الإمام عبدالوهاب الربيع بن حبيب في الحجّ في وقت وقع فيه اضطراب في الدولة الرّستمية، إذ أنّ مغادرته البلاد وهي على هذه الحالة قد يعرضها للخطر، وقد تنجّر عنه أحداث لا تحمد عقباها. وقد يتعرّض هو نفسه

(١) ينظر جواب الربيع بن حبيب، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ص : ٥٩، وكتاب طبقات المشايخ بالمغرب، ج ١. ص : ٥٩، ٦٠.

للخطر في الطريق؛ لذا كان جواب الإمام الرّبيع بن حبيب أن يستأجر من يحجّ عنه. (١)

كما أرسل أهالي طرابلس رسالة إلى أبي سفيان محبوب بن الرّحيل في البصرة، يستفتونه في خلاف حصل بينهم والإمام عبدالوّهّاب في مسألة تولية خلف بن السّمح، من دون علم الإمام، وقد أنكر عليهم ذلك. استفتوه كما استفتوا فقهاء آخرين في مسألتي تعدّد الأئمّة، وحقّ الرّعية في اختيار عمّالها.

كان ردّ أبي سفيان بن الرّحيل: " بتخطئة من وليّ خلفا، وإصابة من لم يولّه، وأمرهم بإتّباع إمامهم ﷺ. (٢)

كما أرسل أبو عيسى إبراهيم بن اسماعيل الخراساني إلى أهل المغرب زمن الإمام أفلح رسالة للغرض نفسه " وإن لم تكن من عمان، إذ هي في نفس التسق في الدّعوة إلى التّألف، وثبت أحقيّة الإمام عبدالوّهّاب وابنه أفلح في قضيّة خلف بن السّمح التي انبثقت عنها الخلفيّة. (٣)

كما كتب من عمان محمد بن محبوب بن الرّحيل (ت ٢٦٠هـ / ٨٧٣ م) رسالة أو سيرة إلى أهل المغرب، حثّهم فيها على طاعة الأئمّة، وقال : لهم فيها من جملة ما قال : " إنّ من أحدث حدثا، فهو مأخوذ به إلّا أن يكون الإمام أمر به

(١) ينظر طبقات المشائخ بالمغرب ج ١، ص : ٦٦، وسير الشّماخي ج ١، ص : ١٤٠.

(٢) كتاب سير الأئمّة وأخبارهم، ص : ٨١، ينظر أيضا كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ج ١، ص ٧٠.

(٣) علاقة عمان بشمال إفريقيا، ص : ٣٦. تراجع الرّسالة في كتاب الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضيّة لابن سلام الإباضي، تحقيق ر. ث. شفارتز وسالم بن يعقوب. ط ١، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م. ينظر سير الشّماخي ج ١، ص : ١٦٢.

وهو يرى أنه الحق^(١) وقد كان لهذه الرسالة أثرها في القضاء على فتنة خلف بن السّمح^(٢).

يذكر الدكتور فرحات الجعبري أن هذه السيرة تقع في ستّ وعشرين صفحة من الحجم المتوسط. وقد عاجلت ثلاثا وخمسين مسألة موجهة من أهل المغرب إلى الشيخ محمد بن محبوب^(٣) وقد أجاب عنها الشيخ واحدة واحدة، بعد أن دعا الأمة، ونصحها بالالتزام بالتقوى^(٤).

من جانب آخر كان أهل المغرب يرسلون بعض الرسائل إلى أهل المشرق يقدمون فيها بعض النصائح والإرشادات فيما يلاحظونه من بعض الأخطاء التي ترتكب في المشرق، أداء للواجب الديني، وتوطيدا للعلاقة بين المشرق والمغرب.

من أمثلة ذلك السيرة التي وجهها بعض فقهاء المسلمين إلى الإمام الصلت بن مالك (٢٣٧-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٧م)^(٥).

إن السيرة غفل من التوقيع، ومن الجهة المرسلة لها، إلا أن الدكتور فرحات الجعبري يرجح أنها من أهل المغرب " وذلك لدقة ما جاء فيها من الاحتجاج في قضية مخالفة النكار للإمام عبد الوهاب. ومهما يكن مصدر الرسالة، فهي معبرة عن التلاحم بين أطراف المحيط الإباضي، ذلك لأنها جاءت طافحة بالدعوة إلى

(١) نور الدين السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ط٢، ج١، مكتبة الاستقامة، روي سلطنة عمان، (من دون تاريخ)، ص: ٢٤٨.

(٢) ينظر إياضية مصر والمغرب وعلاقتهم بإياضية عمان والبصرة، ص: ١٤٢، ١٤٣.

(٣) ينظر علاقة عمان بشمال أفريقيا، ص: ٣٠.

(٤) تراجع السيرة في كتاب المتير والجوابات لعلماء وأئمة عمان ج٢، ص: ٢٢٣ - ٢٦٨.

(٥) تراجع السيرة المصدر السابق، الجزء الأول ص: ١٨١ - ٢٢٨.

الاتتلاف لشعور أصحاب الرسالة أن الأمة على وشك الافتراق، وفي ذلك تحذير من ترَبُّص المترَبِّصين لهم حيثما كانوا.^(١)

هذه المراسلات وهذه الاستشارات التي توالى على المشرق من المغرب، وتمنَّ كان يعيش تحت كتف الدولة الرستميَّة، وقد صدرت من الأئمَّة ومن عامَّة النَّاس، وتمنَّ كان السَّبب في إثارة بعض الفتن وإحداث بعض المشاكل... هذه اللَّفَّات تدلُّ على هذا التعلُّق الكبير بالمشرق، وحسن الظَّن الذي يشعر به المغاربة نحو المشاركة.

كما أنَّ إسداء التصح منهم، وشمول إخوانهم المغاربة بالرَّعاية والكفالة وبالرحمة... كلَّ ذلك يدلُّ على شعور هؤلاء بأبوتهم الرُّوحيَّة للمغاربة. ومن جهة أخرى فإنَّ إذعان هؤلاء لما يأتيهم من إخوانهم في المشرق، وقبولهم لأحكامهم فيهم، وإشاراتهم ولما يأمرُّون به - إلَّا في النَّادر القليل - كلَّ ذلك يدلُّ على رغبة الطَّرفين في تمتين العلاقة، وتوثيق الصِّلَّة بينهما، ليستقيم مذهبهم ويقف على عوده، وليعمَّ الإسلام والسَّلام في ربوع الأرض.

ولمزيد من توطيد أواصر العلاقة بين المشرق والمغرب، وتقدم العون والدَّعم للدولة الرستميَّة، فإنَّ أهل البصرة وعمان كانوا يرسلون رسلهم إلى المغرب لتفقد إخوانهم فيه. أخبار هذه الزِّيَّارات الخاصَّة بهذا الغرض ملأت صفحات المصادر الإباضيَّة بخاصَّة. من ذلك أنَّ رجلاً من أهل المشرق قدموا زائرين في فترة إمام عبدالوَهَّاب " فوصلوا إلى جبل نفوسة وزاروا أهله من الإباضيَّة، وانتهى بهم المطاف إلى الإمام عبدالوَهَّاب، الذي جمعهم بأحد علماء نفوسة، وكان هذا الإمام يعظَّم هذا العالم ويحترمه لغزارة علمه وفضله، فأخذوا في طرح أسئلتهم عليه

(١) علاقة عمان بشمال إفريقيا، ص : ٣٥، ٣٦.

لاختبار مدى هذا العلم وذلك الفضل، ولما أجاهم على كل ما سألوا، قالوا للإمام : لا نعلم أحدا بالشرق والمغرب مثل هذا العالم." (١)

لاحظت أن الرسائل المتبادلة والخطابات المتداولة، التي سجلت في السنوات الأولى من عقد الصلة وتوثيق الروابط وإبرام العلاقة بين المشرق والمغرب، كانت تحرص على معرفة رأي الدين في بعض الممارسات والمستجدات في الساحة. وكانت تتعاون على نبذ الخلافات، وإزالة كل أنواع الشقاق؛ لذا كانت تدعو إلى الائتلاف ورأب الصدع وتوحيد الصف. كما كانت تصرّ على الدعوة إلى إقامة الإمامة العادلة. وكانت تركز كثيرا على مسألة الولاية والبراءة والوقوف... إلى غير ذلك من المسائل التي تسعى إلى تركيز الإيمان وتثبيت العقيدة وترسيخ الأخلاق، وكل ما يعين على بناء الدولة، وتكوين الشخصية.

هذه السيرة أو هذه الخطة تنبع من الأصول والمبادئ التي يؤمن بها الإباضية، ويحرصون على الصدور عنها في سلوكهم. كما نسجل شيئا إيجابيا في هذا المجال، وهو أن المتخاصمين كانوا يحتكمون في خلافاتهم إلى مشائخ المذهب في المشرق، مهما يكن انتماء الخصم ومستواه ومكانته في الدولة الرستمية.

هكذا كان الدعم المادي والمعنوي بخاصة - بهذه الاتصالات المتكررة وهذه الرسائل - عاملا كبيرا في دعم الصلة وتوثيق عرى الرابطة بين المشرق والدولة الرستمية. وقد كانت له انعكاساته الإيجابية على مستقبل العلاقة بين إباضية المشرق والمغرب.

(١) إباضية مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ص: ١٤٣، ١٤٤. ينظر أيضا سير الشماخي ج١، ص: ١٥٢. هذا العالم هو مرداس السدراتي.

كما كان لهذه الاتصالات دور كبير في تدفق أعداد كبيرة من المشاركة إلى المغرب، للاشتغال بالتجارة، أو للتفرغ للعلم ونشر المذهب الإباضي، ومنهم من هرب من اضطهاد العباسيين، وقد أدى كل ذلك إلى ازدهار الدولة الرّستميّة، وإلى ازدياد قوّتها.^(١)

ونؤكد هنا ما ذكره الدكتور رجب محمد عبدالحليم أن ما قامت به عمان والبصرة من دعم مادي ومعنوي وسياسي للدولة الرّستميّة وتثبيت أركانها، كان الهدف منه مساعدة الدولة " حتى تزداد قوّتها وتصبح علما يلتف حوله الإباضيّة في المشرق والمغرب، وحصنًا يلوذون به من عوادي الأيام وضربات الزمن." ^(٢)

إنّ ما قدّمه المشاركة للمغاربة من دعم مادي ومعنوي شجّع أهل المغرب على تمثين الرّوابط بإخوانهم في المشرق، وحفّزهم على بذل مزيد من الجهد لإيجاد الوسائل الكفيلة بتدعيم هذه الصّلة. كما كان المشاركة أنفسهم يفكّرون التفكير نفسه. وفعلا تمكّن الجميع من تحقيق رغباتهم بواسطة اللّقاءات والزيارات والرّحلات العلميّة وتبادل الكتب والرّسائل والأخبار.....

(١) ينظر أيضا أخبار الأئمّة الرّستميين، ص: ٣١، ٣٢. وكتاب الإباضيّة في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضيّة عمان والبصرة، ص: ١٤٤.

(٢) الإباضيّة في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضيّة عمان والبصرة، ص: ١٤٤.

* اللقاءات والزيارات والرحلات

أ- اللقاءات :

تعدّ اللقاءات والزيارات والرحلات التي كانت تتمّ بين الإباضية فيما بينهم من أهمّ الوسائل التي وطّدت العلاقة بين المشرق والمغرب، ونشّطت التواصل بين القطبين، وسمحت بتبادل الرأي والمشورة في الأمور المستجدة، وقد أسهمت هذه اللقاءات والزيارات كثيرا في تطوير الفكر الإباضي بخاصّة.

لقد كان موسم الحجّ في مقدّمة المناسبات التي كان الإباضية يتخذونها وسيلة من وسائل اللقاء. وفعلا قد الموسم ساعد على انتشار المذهب الإباضي ؛ وذلك عن طريق إلقاء الدّروس والمواظع، ثمّ بواسطة المناظرات التي كانت تقوم بين الإباضية فيما بينهم، وبينهم وبين علماء المذاهب الأخرى وبواسطة خلق العلم، التي كانت تقام في الحجاز. وقد كان المغاربة من بين من يحضر هذه المجالس ويشهد هذه المناظرات العلميّة؛ ليعودوا بعد ذلك إلى بلادهم مزوّدين بمعارف وبإجابات عن أسئلتهم، وبأخبار عن إخوانهم المشاركة، وبذلك تتمتّع العلاقة، وتتطوّر من موسم إلى آخر.

في سيرة مقرن البغطوري (ق ٦هـ / ١٢م) المعروف بسير نفوسة معلومات عن علاقة إباضية المغرب بإباضية المشرق، وكيف كانوا يتزاورون، كلّ يزور الثاني في بلده : "... يزور أهل المشرق أهل المغرب ليعرفوا ما هم عليه، ويزور أهل المغرب أهل المشرق ليستفيدوا منهم العلم." (١)

لا يخفي ما في قول مقرن البغطوري من التأكيد على احتياج أهل المغرب إلى إخوانهم المشاركة في التعلّم والتّكون، فقد سجّل أنّ أهل المشرق يحرسون - في

(١) مقرن البغطوري، سير نفوسة (مخطوط) ورقة ١.

زياراتهم - على معرفة أحوال إخوانهم المغاربة، بينما أهل المغرب يحرصون على التزوّد من علم المشاركة.

لقد كان أبو عبيدة وأبو المودود حاجب الطائي والربيع بن حبيب ، وأبو نوح صالح الدهان وأبو سفيان محبوب بن الرحيل ومحمد بن محبوب وغيرهم من علماء الإباضية يعقدون حلقات العلم والبحث والمناظرة في الحجاز في أثناء موسم الحجّ وقبله وبعده، يحضرها الإباضية وغير الإباضية ليفيدوا أنفسهم وغيرهم.

كما أشار مقرن البغطوري إلى لقاءات الإباضية في موسم الحجّ كلّ عام. وكان الإباضية المغاربة لحرصهم على الحجّ، كان حجاجهم إذا رجعوا من البقاع المقدسة، لا يفترقون حتى يتفقوا في مكان يسمّى "تَمَصُّرُون" متى يكون المسير إلى الحجّ في الموسم القادم. ولما سقطت "تاهرت" أصبح حجاج أفريقيا وطرابلس وجربة يجتمعون في موضع يسمّى "إِمَاسْن"، وكان هذا ديدنهم وسيرتهم؛ إذ كان لهم مكان يلتقون فيه للاتفاق على المسير إلى الحجّ في الموسم المقبل. يقول البغطوري: "فجعلوا دهرهم بين الجهاد والرباط والحجّ... ولقد بلغنا أنّهم يجتمعون في نحو ألف أو أقلّ أو أكثر، لا يكون المجلس بينهم إلّا بالترجمان." (١)

من الأدلة التي تدلّ على إكثار الإباضية من الحجّ، أداء لواجب ديني وتقديم قربة إلى الله، وتحقيق بعض الأغراض التي أشرنا إليها آنفاً، من الأدلة على ذلك أنّ لكثير من الإباضية نجائب الإبل يحملون عليها غير القادرين من إخوانهم إلى مكة لأداء فريضة الحجّ أو تكرير أدائها. (٢) كما أنّ إمام المذهب جابر بن زيد اشتهر بكثرة حجّه، وقيل: إنّ حجّ أربعاً وعشرين مرّة (٣)

(١) م. من. ورقة ٣.

(٢) كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ج ٢، ص: ٢٤٠.

(٣) م. من. ص: ٢٠٨. والعقود الفضية في الأصول الإباضية ص: ٩٩. جاء في المرجع الأخير أنّه حجّ أربعين مرّة.

وقد كان الأئمة الرّسَميّون يكثرّون من الحجّ ويشجّعون النّاس على ذلك.^(١) كما كان زعماء الإباضية وعلمائهم يحجّون لجملة من الأغراض؛ منها الحرص على التّعلم؛ لأنّ اللّقاء في الحجاز هو إحدى الوسائل المهمّة لتحصيل العلم. ومن الأمثلة لهذه الظّاهرة ما ذكره الشّماخي أنّ العالم المغربي أبو المنيب محمد بن يانس النفوسي، الذي كان معاصرا للإمام عبد الوهّاب بن عبد الرّحمن بن رستم. ذكر أنّ هذا العالم : "قسّم عمره بين طلب العلم والزّيارة والحجّ. فعام للحجّ وعام يذهب زائرا إلى تيهرت عند الإمام، وعام يقرأ العلم عند اسماعيل بن درار الغدامسي، وعام يتعبّد فيه في مشاهد الجبل."^(٢)

إنّ هذه الظّاهرة (الإكثار من الحجّ، وحرص بعض النّاس على أن لا يفوتهم الحجّ كلّ سنة أحيانا، والتّحريض على ذلك) تلفت نظر الدّارس لبحث عن الأسباب الدّاعية إلى ذلك. خاصّة وأنّ المسافة بعيدة بين الحجاز والمغرب. وأنّ الحاج يلاقي صعوبات جمّة في القيام بهذه العبادة أداء، فضلا عن تكريرها كلّ عام. يبدو لنا أنّ ذلك نابع من حرص المؤمن على أداء واجبه الدّيني، ثم الإكثار من التّوافل تقربا إلى الله تعالى ؛ إذ أنّ المؤمن يجد نفسه أكثر استعدادا لعبادة ربّه ومناجاته حينما يكون في الأماكن المقدّسة. وهناك خصوصيّة يتفرد بها الإباضية وهي رغبتهم في توطيد العلاقة فيما بينهم بواسطة الاتّصالات واللّقاءات لتبادل الأخبار والاستشارات وتلقّي العلم من بعضهم، والتّفقه في الدّين؛ خاصّة وأنّ الإباضية مرّوا بظروف عصيبة : حوربوا في أفكارهم وتاريخهم، وحرّموا من نشر مذهبهم... فكانت هذه الظروف من الأسباب الكبيرة التي جعلتهم أكثر إصرارا على اللّقاء والتّزاور وتوطيد العلاقة.. وكان موسم الحجّ أحسن فرصة لتحقيق آمالهم؛ إذ هو مؤتمر عالمي يلتقي فيه المسلمون، الذين يقدمون من كلّ أنحاء العالم؛

(١) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ص : ٩٠، ١٥٩.

(٢) سير الشّماخي، ج ١، ص : ١٤٨.

فيتعارفون ويتبادلون الأخبار، ويوطّدون علاقاتهم ببعضهم بعضا. وتعدّ هذه الأمور من الأهداف المهمّة للحجّ في الإسلام.

وما يزال موسم الحجّ - إلى اليوم - من أحسن الوسائل التي يفتنمها الإباضية لتبادل الأخبار والمؤلّفات والمشاورات. من هنا كان موسم الحجّ من بين الوسائل التي تدخل في دائرة ربط العلاقة والتواصل الثقافي بين المشرق والمغرب. وفي هذا يقول الأستاذ إبراهيم بخّاز : " لعل الحجّ يعتبر أهمّ وسيلة ربطت المغرب بالشرق ولا يزال، وقد تجاوب المغاربة مع هذا الركن من الدّين وتحمّسوا له ، فكانت أمنيّة الواحد منهم منذ أن حسن إسلامهم أن يقوم بهذه الرّحلة الدّينية العلميّة، ولا يزال هذا الشّعور فيهم قائما." (١)

هكذا كان الحجّ بالنسبة للإباضية فرصة للمذاكرة والمدارسة وتلقّي العلم، والاستفسار عمّا أشكل من المسائل في مختلف المجالات، وتفقّد الأحوال. إنّ هذا ما يوطّد العلاقة، ويبقي باب التواصل الثقافي مفتوحا. هذا هو التفسير الذي نراه مناسبا لظاهرة إكثار الإباضية من الحجّ.

ب- الزيارات والرّحلات المتبادلة :

شكّلت الزيارات والرّحلات المتبادلة بين إباضية المشرق والمغرب وسيلة أخرى مهمّة من وسائل التواصل الثقافي بين عمان والجزائر بخاصّة، والمغرب بعامة، سواء ما كان منها مجرد الزيارة وتفقّد الأحوال واستطلاع الأخبار، أم ما كان منها للتّعلم والتّحصيل، أم للتّعليم والتّدريس... وقد أفادتنا المصادر والمراجع بكثير من الأخبار عن هذه الرّحلات والزيارات، وبخاصّة المصادر الإباضية منها.

(١) الدّولة الرّسميّة : دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكرية، ص : ٣٩٠.

سبق وأن أشرنا إلى رحلة بعض علماء إباضية البصرة إلى جبل نفوسة، ثم تاهرت في الجزائر في عهد الإمام عبد الوهاب ؛ لتفقد أحوال الدولة الرستمية، ثم لمعرفة مدى انتشار المذهب الإباضي في المنطقة، ومدى تعمق أهل الدعوة والاستقامة في معرفة أصول مذهبهم، ومدى علم المغاربة وفقهم.^(١)

من بين العلماء المشاركة الذين خرجوا من البصرة قاصداً تاهرت، ماراً بجبل نفوسة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أبو غانم الخراساني (ق ٢هـ / ٨٨م) وقيل عاش في القرن الثاني والثالث الهجريين، صاحب المدونة الصغرى والكبرى، وقبل أن يصل إلى تاهرت ترك مدونته عند عالم جبل نفوسة عمرو بن فتح النفوسي (ت ٢٨٠هـ / ٨٥٣م) حيث نسخها، وقد كان لهذه المدونة أثر وشأن كبيران في بلاد المغرب الإسلامي. إن ما قام به عمرو بن فتح ثمرة إيجابية من هذه الزيارة، وخطوة مهمة في العلاقة والتواصل الثقافي. وفي هذا يقول الدرجيني : " وهو (أي عمرو) الذي لولاه لاندثر معلم المذهب وانطمس، وعفر أثره واندرس، لتمسكه ببقية الحوائج العظام، وتصحيحه ما قيد عن الخراساني أبي غانم." ^(٢)

أما الشماخي فيقول : " ولما وفد أبو غانم بشر بن غانم الخراساني على الإمام عبد الوهاب ومعه مدونته المشهورة في الفقه، التي رواها عن تلامذة أبي عبيدة، وجاز على جبل نفوسة، واستودع عمرو نسخة منها، وأخذ في نسخها، وأخته تملي عليه، ويلزم الموضع حتى تدركه الشمس، فينتقل حرصاً في إحياء العلم، فما رجع بشر إلّا وقد استكمل نسخها، وهو في اثني عشر جزءاً، فوجد نقطة حبر على بعض الكراريس فقال : سرقت هذا، قال ستماني سارق العلم. فلما وقع ما وقع

(١) ينظر كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ج ٢، ص : ٢٩٣. وكتاب مسير الشماخي ج ١، ص : ١٥٥.

(٢) طبقات المشائخ بالمغرب ج ٢، ص : ٣٢٠

بتبهرت وأحرقت كتبها، بقيت نسخة عمروس، ينتفع بها الإباضية، ولولاها لبقى أهل المذهب من غير ديوان بالمغرب، يعتمدون عليه، وذلك ببركة عمروس وحسن نيته. (١)

رواية الشماخي وتعليقه يبينان أهمية هذه المدونة في الفكر الإباضي بعامة، وفقهه بخاصة، وهو ما يبرر حرص عمروس بن فتح على نسخها واقتنائها، ويفسر الجهد الذي بذله، والمشقة التي تحملها في سبيل الحصول عليها، ويبين مدى اعتزازه بوصف أبي غانم له سارق العلم.

وأهمية هذه المدونة تكمن كما يقول الشيخ أحمد بن سعود السيادي، إنها تحتوي على كثير من الأحاديث المسندة إلى النبي ﷺ، وعلى كثير من فتاوى أقطاب العلم، وأئمة المذهب الإباضي أمثال جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة والربيع بن حبيب وغيرهم. (٢)

إذن إن رحلة أبي غانم إلى تبهرت كانت لها آثارها الكبيرة في المرحلة المبكرة لبدء انتشار المذهب الإباضي في المغرب، وهي تعدّ من اللبّات الأولى في بناء صرح العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب.

وقد استمرّ توافد علماء الإباضية المشاركة إلى بلاد المغرب الإسلامي منذ العهد الرّسمي، وعلى مرّ القرون. روت المصادر أن علما مشرقيا كبيرا هو ابن الجمع وهو من علماء المشرق وتجارها الأغنياء، انتقل إلى المغرب مارا بمصر — وذلك في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي — وقد التقى بمدينة توزر بالبلاد التونسية بعالم الإباضية أبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي. (٣) وفي المغربين الأدنى

(١) سير الشماخي ج ١، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) م. م. ص. ص : ١٩٤ = هامش رقم ١.

(٣) وقد كان شابا يطمح في طلب العلم، فوجد من ابن الجمع خير معلم، فقرأ عليه وتعلّم حتى أصبح من العلماء الأفاضل — يراجع علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، القسم الأول، ص : ١٦٢ - ١٦٤.

والأوسط أخذ ابن الجمع ينشر علمه وفقهه، ووصل في رحلته إلى المغرب الأقصى بنية التعليم ونشر الدعوة مع العمل في التجارة.^(١)

وفي القرن التاسع الهجري الخامس عشر للميلاد، انتقل الفقيه العماني الحاج محمد بن عبدالله السّمالي إلى المغرب مرورا بمصر. وقد وصله قبل عام (٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م)^(٢) وقد كان من بين من صحبه ورافقه في أثناء إقامته في المغرب أحمد بن سعيد الشماخي، وذهب معه إلى زيارة أبي يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى. ويذكر الشماخي أنّ مناظرة مهمة دارت بين الفقيه العماني وأبي يوسف يعقوب في علم الطب.^(٣)

وفي القرن العشرين تنشط حركة التنقل والرحلة - من جديد من عمان إلى الجزائر بعد فتور نسي - مما دفع بالتواصل الثقافي إلى أن يتقوى أكثر فأكثر... نذكر على سبيل المثال قدوم بعثة عمانيّة ضمت عشرات الطلبة سنة ١٩٦٤م للدراسة في مدرسة الحياة ومعهد الحياة بالقرارة (الجزائر) منهم من قصرت مدة إقامته، ومنهم من امتدت به سنوات عديدة. وآخر طالب من هذه البعثة غادر الجزائر ومعهد الحياة هو الأستاذ خلفان بن محمد بن خلفان المنذري الذي تحصّل على درجة الماجستير من كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٩٢ م والدكتوراه من الكلية نفسها ١٩٩٩ م^(٤) هو الآن مدرّس في جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان. وقد غادر الجزائر سنة ١٩٧٥ م.

(١) ينظر كتاب سير الأنعة وأخبارهم ص : ١٢٨، وكتاب طبقات المشايخ بالمغرب ج ١، ص : ١٠٩، ١١٠. وقد ذكره الدرّجيني باسم * ابن الجمعي * وقد كان ابن الجمع يتظاهر بالتجارة رغم غزارة علمه. وهذه نهاية في التّسّير وشدة الحذر من الأعداء المعترّضين بالمذهب الإباضي.
(٢) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ص : ١٥٢.
(٣) ينظر كتاب سير الشماخي ج ٢، ص : ٢٠٣.
(٤) موضوع أطروحته في الماجستير هو (أحاديث جامع أبي الحسن البسيوي : دراسة وتخرّيج)، وموضوع رسالته في الدكتوراه هو : (مختلف الحديث وأثره في الفقه الإباضي.

أما آخر عماني يغادر الجزائر، فمن قدم من مصر^(١) مع البعثة التي نزلت بأرض الجزائر سنة ١٩٦٤م هو الأستاذ الناصر بن محمد بن راشد الزبيدي، فقد درس في معهد الحياة، ودرس في مدرسة الهداية بالجزائر العاصمة، واشتغل في السفارة العمانية بالجزائر، وتزوج فيها. وقد دامت إقامته فيها ثلاثة وعشرين عاما (١٩٦٤-١٩٨٧م).

وفي سنة ١٩٨٩م انتقل الطالبان العمانيان : عيسى بن صالح بن سعيد البوسعيد، وصالح بن أحمد بن سيف البوسعيد، والتحقا بدخول الحياة بالقرارة بنية استظهار القرآن الكريم. وفعلّا تمّ لهما ذلك، الأوّل استظهر القرآن يوم : ٧/١٩٨٩. والثاني يوم : ١٤/١٢/١٩٨٩م. وللغرض نفسه قدم في صيف ١٩٩٠ طالبان آخران هما عبدالله بن عليّ بن سالم الرويشدي، وعليّ بن محمد الغيثي. الطالب عبد الله الرويشدي استظهر القرآن يوم : ٩ من محرم الحرام سنة ١٤١١ هـ. أما عليّ الغيثي فلم يتمكن من ذلك، لكنه حفظ نصيبا كبيرا منه؛ بسبب الوضع المتدهور في الخليج، بعد اجتياح العراق للكويت يوم : ٢ أغسطس سنة ١٩٩٠م. والطلبة الأربعة قدموا من معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد بروي، سلطنة عمان.^(٢)

كما كانت لبعض الشخصيات العلمية زيارات متكررة إلى الجزائر للمشاركة في بعض المنتديات والتدورات، ولأغراض علمية أخرى، أمثال سماحة مفتي سلطنة عمان الشيخ أحمد بن حمد الخليلي والشيخ سالم بن حمد الحارثي، والشاعر عبد الله بن عليّ الخليلي، والشيخ أحمد بن سعود السيّابي، والدكتور صالح بن أحمد الصوّافي،

(١) وقد كان المشرف على البعثة الطلائية العمانية في مصر، هو أستاذنا الشيخ الناصر بن محمد المرموري، أستاذ الشريعة في معهد الحياة بالقرارة (الجزائر) وكانت مدة الإشراف سنتين فيما أعلم. هذا من جملة ما يدخل في حركة التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب.
(٢) معلومات أفادني بها الأستاذ صالح بن أحمد حديون رئيس دحلّة الحياة أو دار البعثات البيوضيّة كما تسمّى.

والشيخ سليمان بن محمد السالمي، والشيخ يحيى بن سفيان الراشدي، والدكتور مبارك بن عبدالله الراشدي، والشيخ أفلح بن حمد الرواحي، والشيخ زياد بن طالب المعولي، وغيرهم كثيرون.

وقمة هذه الزيارات التي تكشف عن عمق العلاقات بين الجزائر وعمان، وتبين عن نية البلدين الصداقة في تنشيط التواصل الثقافي بينهما. قمة هذه الزيارات، هي الزيارة التي قامت بها سلطنة عمان إلى الجزائر بتراتها وتاريخها وثقافتها بواسطة المعرض الذي أقامته في قصر الثقافة في الجزائر تحت عنوان " الأيام الثقافية العمانية في الجزائر " وذلك ما بين ١٠ - ٣١ جانفي ١٩٨٩م. يعدّ هذا المعرض الثاني من نوعه، بعد الذي أقامته السلطنة في المملكة الأردنية الهاشمية. وقد كتبت الصحافة الجزائرية عن هذه الأيام وعدّها لبنة أخرى تضاف إلى صرح العلاقات التي تربط بين السلطنة والجزائر. هذه العلاقة التي ترجع إلى أيام الدولة الرستمية، والتي تزداد كلّ يوم متانة ورسوخا، بفضل إرادة المسؤولين في البلدين لإعطاء دفع جديد للتبادل الثقافي القائم بينهما. وقد كانت الأيام تهدف إلى تعريف الجمهور الجزائري بالتاريخ والتراث الثقافي العماني بمختلف أنواعه وأشكاله. وقد اشتملت الأيام الثقافية على معرض ومحاضرة ألقاها الدكتور عليّ الشنفرّي، مدير الآثار بوزارة التراث القومي والثقافة العمانية (آنذاك)، وقد ضمّ المعرض خمسة أقسام : (١) الملاحة البحرية، (٢) القلاع والحصون، (٣) الصناعات التقليدية، (٤) الحياة البرية في عمان، (٥) الكتب المطبوعة في عمان.

وقد تركت هذه الأيام انطباعات حسنة لدى الجزائريين، وقد سجلوا بكلّ فخر واعتزاز هذا التلاحم والترابط اللذين طبعا علاقة عمان بالجزائر في الجانب الثقافي منذ القدم. تمثل ذلك على الخصوص في تكفل وزارة التراث القومي والثقافة

بسلطنة عمان بطبع كتب لشخصيات جزائرية أمثال أبي يعقوب الوارجلاني والشيخ عبدالعزيز الثميني والحاج محمد اطفيش... كما ذكرت ذلك وسجلته التلفزة الجزائرية التي خصّصت ركنا في برنامجها (عالم الثقافة) في حلقتين للتعليق على المعرض.^(١)

إلى جانب هذه الزيارات ذات الطابع العلمي والثقافي، كانت هناك زيارات إخوانية وسياحية، وهي كلّها تدخل في إطار تدعيم العلاقة بين المشرق والمغرب.

كما كانت للمغاربة أيضا زيارات إلى عمان والبصرة، وكان أغلبها للتزوّد من العلم والتّفقه في الدّين. وقد تكون الرّحلة بسبب خلاف يحدث لشخص ما فيلتجئ إلى المشرق، وإلى مركز القيادة الإباضية في البصرة أو عمان للبحث عن حلّ لمعضلته ومشكلته، أو للظفر بمحرّر وسند يدعم به آراءه ومواقفه من بعض العلماء والأئمة في المغرب. إنّ هذه الرّحلة وهذا السلوك يعدّ في حدّ ذاته تعبيرا عن العلاقة التي تربط المشرق بالمغرب.

من هذه الرّحلات رحلة فّات بن نصر التّنفوسي إلى بغداد،^(٢) وقد كان عالما مرموقا. ونظرا لكونه محبا للزعامة ولم يظفر بها كما تصوّره المصادر القديمة، فقد خالف أستاذه وإمامه أفلح بن عبد الوهاب وآلب عليه الناس بآرائه في الإمامة، كما انتقده في مسائل، وقدح في سيرته.

(١) مقتطفات من مقال لمحمد ناصر بو حجام عنوانه : * العلاقات الثقافية والفكرية بين الجزائر والسلطنة * مجلة النهضة (سلطنة عمان) ع : ٤٢٤ ، ١٥ فبراير ١٩٨٩. ص : ١٦ ، ١٧ .
(٢) حتّى وإن لم تكن الرّحلة إلى البصرة أو عمان، إلا أنها كانت لغرض الحصول على أثر إياضي مشرقي عمانيّ هو ديوان جابر بن زيد. تنظر قصّته في كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ص : ٩٢ وما بعدها. وكتاب طبقات المشايخ بالمغرب ج ١، ص : ٧٨ وما بعدها، وكتاب الأزهار الرياضيّة في أئمة وملوك الإباضية ج ٢، ص : ٢٥١ - ٢٦٧ .

وبعد تهديد الإمام أفلح له، سافر إلى بغداد، وهناك نسخ ديوان جابر بن زيد، وجاء به إلى المغرب، ودفنه في التراب حسدا وبغيا، في قصة معروفة.^(١) إذن إن هذه الرحلة كانت ثقافية، رغم ما فيها، وعدم الحصول على نتيجة ملموسة في مسيرة الفكر الإباضي. فهي تدلّ على هذا التواصل مع المشرق، لأنّ نفّاثا كان يطمح في الحصول من المشرق على ما يحتاج به الإمام أفلح بن عبد الوهاب.

ومنها أيضا رحلة "عبد العزيز بن الأوز" الفقيه الإباضي - البارع الذي تتبرأ منه الإباضية - إلى المشرق^(٢) من أجل طلب العلم،^(٣) وإن كان ابن الصّغير مصدر الخبر لم يذكر الجهة التي رحل إليها عبدالعزيز، إلّا أنّ الأستاذ إبراهيم بخاز يرى أنّ المدينة التي زارها هي البصرة أو بغداد^(٤)

أما الدكتور رجب محمد عبد الحليم فيرى أنّ "المقصود بالشرق هنا إمّا البصرة أو عمان، أو الإثنين معا..."^(٥)

رأيا الأستاذين لهما ما يبررهما، وما يسندهما، وذلك أنّ الإباضية المغاربة كانوا كثير التردّد على هذه المراكز المذكورة، التي يعبر عنها بالمشرق والشرق، سواء من كان منهم موافقا للجماعة هنا في المغرب أم مخالفا لهما. فكلّ واحد منهم يقصد المشرق للتزوّد بما يرغب فيه من معارف، أو ما يدعم به رأيه، أو يوضّح موقفه، أو

(١) تنتظر قصته كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ص: ٩٦. وطبقات المشايخ بالمغرب ج ١، ص:

٨٢. وكتاب الأزهار الرياضية... ج ٢، ص: ٢٦٦...

(٢) ينظر كتاب أخبار الأئمة الرّسميين، ص: ٨٦.

(٣) الدولة الرّسميّة: دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكرية، ص: ٣٩٤.

(٤) م، س، ن.

(٥) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ص: ١٥٥.

يصحّح مفهوماته من المنابع والمصادر، ومن مراكز القيادة والتكوين التي يراها المغاربة موجودة في البصرة وعمان بخاصّة.

من بين الرّحلات التي سجّلت للمغاربة إلى عمان ما ذكره الدكتور رجب محمد عبدالحليم من أنّ الطّلبة المغاربة كانوا يقصدون حلقة أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن بركة البهلوي السّليمي، صاحب كتاب جامع ابن بركة (عاش في القرن الرّابع الهجري) كانوا يقصدونه لتعلّم والتّفقه " حتّى قيل إنّ الطّلبة المغاربة لا يفقدون من مقامه، فلمع اسمه وشاع ذكره. " (١)

يوكّد الدكتور فرحات الجعيري هذا الخبر بما رواه له الشّيخ الناصر بن محمد المرموري؛ نقلا عن الشّيخ أبي إسحاق طفيش (ت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٥م) الذي ذكر " أنّه تكوّنت بعثة من الطّلبة المغاربة من سبعين طالبا، يدرسون على الشّيخ أبي محمد عبد الله محمد بن بركة... ولذلك كانوا يسمّونه بشيخ المغاربة، وقد كان هؤلاء الطّلبة من جهات المغرب، سوى وادي ميزاب، لأنّها لا تزال على منهج الاعتزال آنذاك. " (٢)

ومن بين علماء الإباضية الجزائريّين الذين سافروا إلى عمان واستقر بها مدّة، وتلمذ على كبار علمائها الشّيخ الحاج محمد بن عيسى آزبار (٣) (توفي في العقد الأوّل من القرن الرّابع عشر الهجري) وقد ترك خزانة كتب كبيرة، مملوءة

(١) م. م. ص. ص : ١٥٥، ١٥٦. ينظر كتاب الاستقامة ج ١، تحقيق محمد أبو الحسن. وزارة الثّراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، سنة ١٩٨٥م، ص: ٥.

(٢) علاقة عمان بشمال إفريقيا، ص: ٣٤، ٣٥.

(٣) محمّد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ج ١، ط ١، المطبعة الثّعاونيّة، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م، ص: ٢٨٣. ذكر لي الشّيخ صالح بزّمال (ت ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) أنّ الذي سافر إلى عمان هو ابنه عيسى، وليس الحاج محمد. وكان ذلك سنة ١٨٩٠ م. وكان يبعث من هنالك بقصائد إلى وادي ميزاب وكان شعره شعر فقهاء.

بالتفائس المخطوطة، منها كتاب بيان الشرع في سبعين جزءاً، وكتاب الضياء، وقد أهدي إليه من عمان وقر بعير من نفائس الكتب.^(١)

كما رحل إلى عمان العالم الجزائري الشيخ الحاج إبراهيم بن يوسف طفيش (ت ١٣١٠هـ) أخو قطب الأئمة الحاج محمد اطفيش وشيخه (ت ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م) " رحل إلى عمان فأقام فيها مدة، يتخصص في الشريعة واللغة العربية على علمائها الأجلاء." ^(٢)

وقد استمرت هذه الزيارات إلى عمان من دون انقطاع، وإن اعتراها فتور أحيانا لأسباب وعوامل مرّ بها البلدان: عمان والجزائر. وقد كان من بين الوافدين إلى عمان من وادي ميزاب، والمترددين عليها كثيرا أحمد بن الحاج أحمد بن عمر التوري الإباضي، الذي كان - في العديد من المرات - الواسطة بين أهل عمان وقطب الأئمة بخاصة. فقد حمل عدة رسائل وكتب من وإلى عمان ووادي ميزاب. وكان يلقب أو يعرف بصاحب عمان ؛ لكثرة اتصالاته بأهل عمان، ولكثرة ما حمل إليهم من رسائل وكتب، وحمل منهم أخرى إلى وادي ميزاب.

وقد ذكر لي الشيخ صالح بزملال (ت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) (قِيم مكتبة الاستقامة في بني يسجن بوادي ميزاب) أسماء بعض الميزابيين الذين زاروا عمان في القرن العشرين. من هؤلاء الحاج داود لعلبي الذي سافر إلى عمان فأرأى من وادي

(١) نهضة الجزائر الحديثة... ج ١، ص : ٢٨٤.

(٢) م. س. ص : ٢٨٥ .

ميزاب، من دون أن يشير إلى سبب هروبه ، وقد تزوّج فيها وخلف أولاداً، وقد توفّي هناك في عمان. وذريته تسكن اليوم مدينة الحاجر بولاية العامرات .^(١)

وفي الثلاثينيات زار عمان السيّد بزّحوال محمد بن سليمان، وقد توفي فيها أيضاً سنة ١٩٣٤ م. كما كانت للشيخ عبدالرحمن بن عمر بن نوح (ت ١٩٢٢ م)، وهو عالم في الفرائض، كانت له رحلة إلى عمان للتدريس هناك.^(٢) وأذكر بالمناسبة أيضاً الجزائري أحمد بن إبراهيم حمدي عيسى الذي توفّي في عين الكسفة بالرّستاق العمانيّة يوم ٣٠ من أكتوبر ١٩٧٤ م.

تكتّفت الزّيارات من الجزائر إلى عمان في المدة الأخيرة لأجل الزيارة ولأغراض علميّة : كالشاركة في بعض المؤتمرات والتّدوات، أو التدريس أو القيام بأعمال ثقافيّة... نذكر من بين هؤلاء الذين تكرّرت زيارتهم لعمان فضيلة أستاذنا الناصر محمد المرموري، تلميذ فضيلة شيخنا المرحوم إبراهيم عمر بيوض (١٨٩٩-١٩٨١ م) وهو إلى اليوم يعدّ همزة الوصل بين إياضيّة عمان وإياضيّة الجزائر. كما زار عمان أيضاً أستاذنا الشيخ سعيد بن بالحاج شريقي (الشيخ عدّون) والشيخ محمد بن بابة الشيخ بالحاج، والشيخ عبد الحميد بن أحمد أبو القاسم، والشيخ بكير بن محمد رشوم، والشيخ بالحاج بن سعيد شريقي، والدكتور محمد بن سعيد شريقي، والأستاذ يحيى بن محمد بگوش، والدكتور إبراهيم بن بكير بّحاز، والدكتور مصطفى بن صالح باجو، والأستاذ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، والأستاذ صالح بن أحمد حدبون والأخ محمد بن أحمد إمّناسن، وغيرهم كثير، وهم بالعشرات في السّنوات الأخيرة...

(١) وقد تغيّر اسم الأسرة إلى (الهادي)، وقد التقيت بأحد أفراد هذه الأسرة بحضور الأستاذ مصطفى بن حمو رشوم المدرّس بمدرسة الشيخ سعيد بن الناصر الكندي الإعدادية بالحاجر (سابقاً). حالياً هو في مدرسة الإمام أحمد بن سعيد الثانويّة بالعامرات.

(٢) كلّ هذه المعلومات أفادني بها الشيخ صالح بزّملال، في لقائي معه في بني يسجن يوم : ١٦ / ٠١ / ١٩٩٤ م.

وقد كان لنا شرف زيارة عمان عدّة مرات وقد شاركنا في بعض الأنشطة هناك، وفي بعض الندوات والملتقيات، والتأليف وفي الصحافة والإذاعة.^(١) كما يوجد الآن في عمان بعض الأساتذة الجزائريين، يدرّسون في سلطنة عمان في جامعة السلطان قابوس (درّس فيها الدكتور محمد الصّالح ألبون، ويدرّس فيها الآن الدكتور حوّاس برّي حوّاس، وبمجموعة من الدكاترة) وفي كليات التّربية والكليات التّقنيّة ومعاهد السلطنة ومدارسها، كما يوجد بعض الجزائريين يشتغلون أئمة في المساجد بعد أن تخرّجوا في معهد القضاء الشرعي ومعهد العلوم الشرعيّة، ويوجد موظّفون في المحاكم، وفي المستشفيات، وفي مجال الرّياضيّة والإعلام والطيران ...

من أوائل من رحل إلى عمان للتّدريس فيها - بعد انقطاع دام سنوات - الأستاذان سليمان بن الناصر حميد أوجانة (١٩٧٧ - ١٩٧٩م) وعمر بن بابة بيّوض (١٩٧٧ - ١٩٧٨م). ثمّ الأستاذان أحسن بن إبراهيم أوجانه وأحمد بن محمد بوقرينات، اللذان التحقا بعمان في شهر أكتوبر ١٩٨٧م. وبذلك يسهمون في إحياء سيرة السّلف في الرّحلة والتّنقل لإحياء إحدى وسائل توطيد العلاقة مع الإخوة في عمان.

كما التحق بمعهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد بسلطنة عمان للتّدريس - أيضا - الدكتور محمد بن صالح ناصر (من جامعة الجزائر) الذي ما يفتأ يسهم بجدية في تنشيط حركة التّأليف هناك وفي وضع المناهج الدّراسيّة والمشاركة في الندوات والملتقيات، والصحافة العمانيّة وإذاعتها. وفي كلّ ما يساعد وبسهم في تطوير التّواصل الثّقافي بين عمان والجزائر. وله في هذا المجال نشاط ملموس. وقد

(١) وبداية من يوم ١٧ سبتمبر ١٩٩٧ م أصبحت مدرسا في كلية التّربية للمعلمين بنزوى إلى اليوم.

التحق بمعهد القضاء في شهر نوفمبر ١٩٩١م، وبقي فيه إلى جوان ١٩٩٨م. ثم أصبح يزوره أستاذا زائرا في الفصل الأول من كل سنة دراسية.

بالمعهد نفسه درّس الأستاذ عمر بن حمو لقمان (سليمان بوعصبانه) الذي انضم إلى أسرة التعليم في شهر أكتوبر ١٩٩٣م إلى غاية شهر جوان ١٩٩٨م.

ونسجل أيضا بعث نظام البعثات العلمية - من جديد - من الجزائر إلى عمان ؛ إذ أصبح معهد الحياة الثانوي بالقرارة يرسل كل عام تقريبا طلبة للدراسة في معهد القضاء الشرعي (معهد العلوم الشرعية حاليا)، وذلك بداية من خريف سنة ١٩٨٧م. وأول طالب التحق بهذا المعهد هو مسعود بن عيس السماوي. هو الآن إمام في مسجد بالبيرين ولاية العامرات.

هكذا نسجل كثرة الرحلات والزيارات التي قام بها الإباضية إلى المشرق والمغرب، وتنوعها؛ بين رحلات لتفقد الأحوال، والقيام بواجب الزيارة الأخوية، وتنقلات لطلب العلم والتفقه في الدين، والاشتغال بالتدريس، إلى غير ذلك؛ مما أعان على الإبقاء على باب التواصل الثقافي مفتوحا على مصراعيه منذ القرون الأولى لنشأة المذهب الإباضي إلى اليوم.

على الباحث أن يتأمل في هذا النشاط الثقافي ليقرا تاريخ الإباضية، ويتعرف على مجهودات أبناء المذهب في العمل على المحافظة على كياناتهم، وحماية شخصيتهم مما ينالها من أذى، ويلحقها من أضرار، ثم يسأل ويبحث عن الأسباب التي دفعت أو أعانت على القيام بهذا النشاط المكثف المضني، ويقف على آثاره؛ ليأخذ من هذا التاريخ الطويل عبرا، ويستخلص دروسا تعين على خدمة الثقافة الإسلامية؛ انطلاقا من معرفة التاريخ الإسلامي، الذي يعدّ هذا النشاط الثقافي، وهذه الرحلات جزءا منه. ومن خلال هذا التأمل والقراءة المتأنيّة الفاحصة الناقدة يقف الدارس أيضا

على تطوّر مسيرة الفكر الإباضي، ومن ثمّ يعرف دوره في الإسهام في حركة الفكر الإسلامي بعامة.

* تبادل الكتب

كان من بين ما وطّد العلاقة بين المشرق والمغرب، وكشف عن الرّباط المتين، الذي يربط بينهما هذه التّأليف التي كانت تنتقل بين المشرق والمغرب، فالمصادر والمراجع مليئة بالأخبار والروايات عن هذا الجانب من التّواصل الثقافي بين الجهتين. مرّ معنا حديث عن الأحمال التي بعث بها أهل المشرق إلى الإمام عبد الوهاب، حين طلب منهم ذلك. وكذلك قصّة أبي العباس أحمد بن بكر الفرستائي الذي بحث مسألة في الفقه بين حوالي ثلاثة وثلاثين ألف جزء، كلّها من تآليف أهل المشرق.

لقد تزوّدت مكتبة المعصومة بكتب مشرقيّة كثيرة، كان لها دور كبير في نشر الثقافة الإسلاميّة بعامة والفكر الإباضي بخاصّة في المغرب الإسلامي. سبق وأنّ أشرنا إلى سيرة أبي سفيان محبوب بن الرّحيل (عاش في النّصف الثاني من القرن الثاني الهجري) وأهمّيّتها بالنّسبة للمغاربة. يكفي أنّ كتاب السّيرة والطّبقات الإباضيّة كالوسيان والدرجيني والشّماخي اعتمدوها كثيرا في كتابة السّير: "وقد اعتمد إباضيّة المغرب فيما ألفوه من كتب عن المذهب وسيرة مؤسّسه وتاريخه على ما ورد إليهم من كتب من عمان والبصرة، فقد اعتمد الدرّجيني في تآليفه لكتابه المعروف باسم الطّبقات على السّيرة التي كتبها أبو سفيان محبوب بن الرّحيل، آخر أئمّة الكتّمان في البصرة... وبذلك انتقل علم محبوب بن الرّحيل إلى بلاد المغرب، وكان الطّلاب والعلماء يتعهّدونه بالدراسة والمذاكرة، ويفضّلونه، ويفضّلون كتب

المشاركة في المذهب على غيرهم من الناس، وكان الآباء يقومون بتلقين أبنائهم أصول المذهب من هذه الكتب...^(١)

ويستدل الأستاذ إبراهيم بخاز على كثرة كتب المشرق في الدولة الرستمية بقول الإمام أفلح بن عبد الوهاب بحث رعيته : " عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة، ولا سيما كتاب أبي سفيان."^(٢)

ونذكر هنا - كما أشرنا سابقا - مدونة أبي غانم الخراساني، وما تركته من آثار كبيرة في الأوساط الإباضية في المغرب الإسلامي.

يقول صاحب كتاب " عمان تاريخا وعلماء " : إنه في إمامة عمان بزعامة ناصر بن مرشد البعري في سنة ١٦٢٤م، وفي إمامة عزان بن قيس سنة ١٨٦٨م تمت عمليات تبادل الكتب من أهل المشرق وأهل المغرب.^(٣)

وكان المغاربة أكثر رواية عن كتب المشاركة، وأكثر إفادة مما ورد في تأليفهم وكتاباتهم. ففي الفقه اعتمدوا كثيرا على مدونة أبي غانم الخراساني، وفي الحديث اعتمدوا على كتاب الربيع بن حبيب الأزدي العماني : " وقد ظلت آثار الربيع تدرس في بلا المغرب، وظل طلبة العلم الإباضية الذين عرفوا منذ القرن الخامس للهجرة باسم العزاية يعقدون مجالس العلم في المساجد، ويقرؤون آثار الربيع."^(٤) كما نجد أبا الربيع سليمان بن يخلف المزاني الذي جعله الدرجيني في الطبقة العاشرة (٤٥٠-٥٠٠هـ) يروي عن ابن بركة العماني صاحب كتاب الجامع (عاش في القرن الرابع الهجري).

(١) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ص : ١٧٠.
(٢) الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ص: ٣٩٨. ينظر البرادي، ملحق بكتاب آراء الخوارج الكلامية ج ٢، ص : ٢٨٤.
(٣) عمان تاريخا وعلماء، ترجمة محمد أمين عبدالله. سلسلة (تراثنا) ع: ١٠، ط ٢. نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٩٨٠ م، ص: ٤٦، ٤٧.
(٤) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ص: ١٦٩.

يعلق الدكتور رجب محمد عبدالحليم على هذه الروايات وهذا الثقل بقوله:
"وهذا الثقل وتلك الرواية، لا تأتي إلا إذا وصلت كتب المشاركة من عمان والبصرة
إلى المغاربة في مصر وبلاد المغرب." (١)

في مجموعة من الرسائل المتبادلة بين أهل وادي ميزاب وأهل عمان، وقفنا على
إشارات كثيرة، يطلب فيها أصحابها كتباً من المشرق والمغرب على السواء، أو
يخبرون عن وصول كتب من هنا أو هناك. فهذا الشيخ عبدالعزيز الثميني الميزابي
الجزائري (١١٣٠ - ١٢٢٣هـ) يرسل إلى جربه وعمان وأنحاء المغرب
الإسلامي، ويطلب من يشتري له الكتب النفيسة في الفنون المختلفة، وفعلاً ينال
مراده، وتأتيه هذه الكتب. (٢)

وفي رسالة أرسلت إلى قطب الأئمة الحاج أحمد بن يوسف طفّيش (ت
١٣٣٢هـ - ١٩١٤م) ذكر فيها صاحبها أنه أرسل له كتاب بيان الشرع في
تسعين مجلداً (٣): "على يد الولد العزيز محمد بن عمر بن سعيد، وهو وقف على
يدكم أنت محمد بن يوسف، ومحمد بن عيسى (٤)، وسعيد بن يوسف (٥) ومحمد بن
يحيى، ومحمد بن عمر بن سعيد، وكافة العلماء والمسلمين، ولا تمنع الطلبة (كذا)
العلم، قد وقفتها هذه الكتب وقفا مؤبداً، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو
خير الوارثين."

نثبت هنا نصّ رسالة من الرسائل التي تحمل رغبة الحصول على كتب من
الجزائر: "بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد ! فسلام عل شيخنا المعمور بالمعارف
الربانية، المعمور بالمعارف الرحمانية: الحاج أحمد بن يوسف طفّيش، حرسه الله

(١) م. س. ص. ١٦٨.

(٢) نهضة الجزائر الحديثة.. ج ١، ص: ٢٦٧.

(٣) في حدود علمي، كتاب بيان الشرع يقع في سبعين أو اثنين وسبعين مجلداً.

(٤) محمد بن عيسى أزبار.

(٥) سعيد بن يوسف وينتن.

تعالى، وزاده إكراما وإجلالا وأبهة وجمالا. من راقمه العبد الضعيف خادم طلبة العلم من أهل المذهب الوهبي الإباضي الشريف الحاج راشد بن عزيز بن بجيت الخصيبي الإباضي العماني السَّمَّالِي. يا شيخ المذهب، قد أرسلت إليك كتابا مني بيد الحاج الوافد إلى زيارتنا أحمد بن أحمد ابن عمر التوري الإباضي المصعبي. كشفت لك فيه شدة اضطراري إلى الحصول على مؤلفاتك المباركة لأكتسب منها العلوم، راغبا إلى الاقتباس من أنوارها كل الرغبة، كشرح التيل وشرح المعالم وغيرها، وقيمتها أو أجرة نسخها عليّ. وعدتك بإرسالها، ولك من الله الثواب العظيم، فإن العلوم في عمان وطالبيها على شفا، ومن الندرة بمكان. وكل الكتب التي أرسلتها إلى الشيخ سعيد الصفري رحمه الله، وإلى ولده من بعده، نقلها ولده إلى زنجبار، وما جاءني منك جواب، إلا أنه وصلني كتاب ترتيب المعلقات وكتاب أجور الشهور مع الحجاج من أصحابنا العمانيين، قائلين إنهما من مصعب، ولعلهما منك، وذاتك الكتابان موجودان معنا منذ زمان، وإنما الحاجة كل الحاجة على غيرهما مما ذكرته. فأسألك بالله العظيم ألا تحب عنائي فيك، وأن تحقق ظني فيك، حقق الله ظنك فيه، وبلغك منه كل ما أملت من فضله... " (١)

هذا نموذج من الرسائل التي كانت تصل إلى الجزائر من عمان، وهو يدل على استمرار التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب، رغم بعد المسافة، وصعوبة الاتصال ومشقته، فالرسالة تبرز حرص العمانيين في الحصول على كتب من المغرب الإسلامي، خاصة مؤلفات القطب الذي ذاع صيته، كما تبين الرسالة القيمة أو المكانة التي يحتلها القطب في نفوس العمانيين، وتحتله مصنفاته ومؤلفاته، كما تكشف عن فترة مظلمة أو عصبية كانت تمر بها عمان، تمثلت في نقص العلماء، أو

(١) الكتاب السادس، ضمن مجموعة ٤٤ كتابا من أهل عمان إلى الحاج لمحمد ابن يوسف طقيش. تكرم بها عليّ الدكتور فرحات الجعبيري. هذا الكتاب مؤرخ بمنصف جمادى الأخيرة عام ١٣٠٤ هـ.

على الأقل ضالة جدواهم، وقلة نفعهم؛ لأسباب نجهلها. ولهذا احتاجت إلى المدد من الجزائر.

وفي رسالة أخرى أرسلها إلى القطب المسمى عبدالعزيز بن سعيد جاء فيها : " فلا يخفى على جنابك عن مصرنا هذا، فقد خلا من المرشدين، فقد ذهب العلم وأهله، وكثر الجهل وحزبه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم." ^(١) وهكذا نتبين حاجة المغرب إلى المشرق وحاجة المشرق إلى المغرب، فزمانا كان المغرب يتطلع إلى المشرق، وفي هذه الفترة كان المشرق هو الذي يشرّب إلى المغرب. وهذا هو التواصل، وهذا هو التفاعل، وهذه هي العلاقة الثقافية الحقيقية.

وفي رسالة أخرى أرسلها إلى القطب عبدالله بن راشد الهاشمي، أخبره فيها بوصول كتابه " جامع الشمّل في حديث خاتم الرّسل ". بعد الشكر والتقدير والاعتذار عن عدم التمكن من زيارته ؛ بسبب بعد المسافة، إلا أن الكتابة تبقى نوعا من المواصلّة قال : " ومهما أردت كتابا من كتبنا المتداولة المشهورة الموجودة، فعرفنا عنها، لنرسلها لك، ومهما ذهب شيء من التصانيف الجديدة، فنريد أن نجعل لنا نصيبا لنستفيد منها علوما وتبرّكا، حتى يكون الدعاء ممتدا، ونحن ندعو لك ولكافة المسلمين بالنصرة على الكافرين ودخول الجنة مع الأبرار. " ^(٢)

من الكتب المهمة التي ورد لها ذكر كبير في هذه الرسائل كتاب "قاموس الشريعة " الذي وصل القطب في فترات متقطعة وأجزاء متفرقة، وقد سجل فيه مؤلفه وكتب: من مؤلفه وقف للطلبة المغاربة على يد الشيخ محمد بن يوسف طفيش.

(١) الكتاب الثاني والعشرون من مجموعة ٤٤ كتابا.

(٢) الكتاب الخامس عشر من مجموعة ٤٤ كتابا. حرّر الكتاب يوم ١٤ من ذي الحجة ١٣٠٥ هـ.

نَسْجَلُ هُنَا أَنَّهُ لَا تَكَادُ تَخْلُو رِسَالَةُ مِنَ الرَّسَائِلِ الْأَرْبَعِ وَالْأَرْبَعِينَ الَّتِي أَطْلَعْتُ عَلَيْهَا، لَا تَخْلُو مِنْ طَلَبِ كِتَابٍ أَوْ تَأْلِيفٍ مِنْ مَوْلاَفَاتِ الْقُطْبِ، أَوْ الدَّعَاءِ بِالْخَيْرِ وَالْبِرْكَةِ... أَوْ وَصُولِ كِتَابٍ إِلَى عَمَانَ، أَوْ إِرسَالِ آخَرٍ إِلَى وَادِي مِيزَابٍ، أَوْ الشَّكْوَى مِنَ الْفَقْرِ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعِلْمَاءِ، أَوْ طَلَبِ التَّأْلِيفِ وَالتَّصْنِيفِ فِي مَوْضُوعٍ مَعَيَّنٍ، أَوْ شَرْحٍ أَوْ تَعْلِيقٍ، أَوْ بَيَانِ مَكَانَةِ الْقُطْبِ فِي نَفُوسِ الْعِمَانِيِّينَ، وَتَقْدِيرِ عِلْمِهِ وَجِهَادِهِ فِي سَبِيلِ نَصْرَةِ الْمَذْهَبِ الْإِبَاضِيِّ، وَالتَّعْرِيفِ بِهِ، أَوْ اسْتِنْحَادِ عَمَانَ بِالْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيِّ لِيَنْقِذَهُ مِنَ الْجَهْلِ، أَوْ الشَّكْوَى مِنْ نَضُوبِ الْعِلْمِ وَقَلَّةِ الْعِلْمَاءِ الْمُرْشِدِينَ...

وَفِي رِسَالَةٍ أَرْسَلَهَا الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ زَهْرَانَ بْنِ سَالِمِ الرَّوَيْشْدِيِّ التَّخْلِيِّ الْعِمَانِيِّ إِلَى الْحَاجِّ صَالِحِ بْنِ عَمَرَ بْنِ دَاوُدَ لَعَلِّي الْمَغْرِبِيِّ (ت ١٩٢٨ م) تَلْمِيزَ الْحَاجِّ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ طَفَيْشٍ. جَاءَ فِيهَا بَعْدَ السَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ : "... وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَّا لَكَ بَيَانٌ يَقْتَضِي إِرسَالَكَ إِلَيْنَا دِرَاهِمَ وَكَأَغْدٍ حَتَّى تُنْتَمَّ لَكَ النُّسْخُ الَّتِي أَرَدْنَا عَلَى أَيْدِينَا، فَلَمْ يَأْتِنَا مِنْكَ جَوَابٌ، وَقَصَدْنَا إِرسَالَ الرَّاهِبِ إِلَيْكَ مِنَ النُّسْخِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، لَكِنْ بَعْضُهَا غَيْرُ مُصَحَّحٍ، وَبَعْضُهَا لَمْ يَكْمَلْ نَسْخَهَا، وَأَنَّ النَّاسِخَ الَّذِي يَنْسَخُ لَنَا قَصْدَ سَفَرِ الْحَجِّ، وَمَا عَلِمْتُ بِهِ إِلَّا وَهُوَ مُسَافِرٌ، ثُمَّ مَنَعَنِي حَالًا عَنْ إِرسَالِ الْمُنْسُوخِ وَالْمُصَحَّحِ بِأَنَّ قَدَّرَ اللَّهُ حَرْبًا بَيْنَ أَهْلِ الْبُلْدَانِ الَّتِي نَحْنُ قَاطِنُونَ بِهَا، فَامْتَنَعَتِ الطَّرُقُ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَافِ وَالسَّعْيِ فِيهَا، وَإِرسَالِ الْكُتُبِ إِلَى بَنْدَرِ مَسْقَطٍ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ نَاصِرٍ، فَخَفَّتْ عَلَيْهَا أَنْ تُضَيَّعَ، لَكِنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَنُغْتَنِمَ الْفُرْصَةَ وَلَنُرْسِلَ جَمِيعَ الَّذِي كَافَتْ (كَذَا) لَهُ الدَّرَاهِمُ." (١)

الْمَهْمُ إِنَّ كُتُبًا كَثِيرَةً كَانَتْ تَرْحَلُ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِي إِطَارِ التَّوَاصُلِ الثَّقَافِيِّ. وَمِمَّا يَثْبُتُ رَحِيلَ كَثِيرٍ مِنَ الْكُتُبِ الْمَغْرِبِيَّةِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَإِفَادَةُ الْمَشَارَقَةِ مِنْهَا فِي

(١) الرِّسَالَةُ مَوْزُونَةٌ بِتَارِيخِ ٩ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ ١٣٢٨ هـ ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي مَكْتَبَةِ الشَّيْخِ الْحَاجِّ صَالِحِ بْنِ عَمَرَ لَعَلِّي فِي بَنِي يَسْجَنَ (الْجَزَائِرِ).

كتاباتهم وتآليفهم ما ذكره الدكتور رجب محمد عبدالحليم أن الشيخ جميل بن حميس السعدي، كان كثيرا ما يشير في كتابه قاموس الشريعة أنه كان يقتبس من كتب مغربية، أو ينقل عن شيوخ أفريقيا أو "سيرة أصحابنا من أهل المغرب". وأحيانا يذكر الكتاب الذي أخذ عنه. وأخرى يشير إلى مؤلف الكتاب. إذن إن الشيخ قد اقتبس من كتب مغربية "لا شك" أنها كانت موجودة في عمان قبل عصره بزمان طويل، واستطاع أن يحصل عليها وأن يستفيد منها في تأليفه لهذا الكتاب الذي بلغ عدد أجزائه اثنين وتسعين جزءا.^(١)

لا بأس أن نختم سلسلة هذه النصوص، التي أردنا من خلالها بيان أن تبادل الكتب بين المشرق والمغرب كان نشيطا بإيراد نصين وردا من عمان، يثبتان وصول الصحافة اليقظانية^(٢) إليها، وهذا يعدّ في حدّ ذاته نوعا من تبادل النشرات، ففي رسالة أرسلها المشايخ عيسى و محمد ابنا صالح الطائيين ويحيى بن عبدالله المشرفي، مؤرّخة بيوم ١٢ من رجب ١٣٤٥ هـ إلى أبي اليقظان بعد إصداره جريدته الأولى "وادي ميزاب"، ووصول أعداد منها إلى عمان. أرسلوا إليه رسالة هنّؤه فيها بهذا العمل العظيم، وبما يقوم به في سبيل التهوض بالشعب الجزائري. جاء في الرسالة بعد السلام والتحية: "... وقد سرّنا جدّا ما قمتم به من إنقاذ الشعب الميزابي وخدمته ماديا وأديبا، ونضالكم عنه في كلّ معترك حيوي بإنشاء جريدتكم القراء (وادي ميزاب) التي هي كلسان حاله ومفهوم حاله، فالحمد لله الذي وفقكم لهذه الخطّة، وأوقفكم في هذا المشروع الجليل، ولعمري هي مرتبة يختصّ بها الأنبياء عليهم السلام، ومن يقوم مقامهم في الأمم فطوبى لك ثم طوبى لك وشكرا لك،

(١) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ص: ١٧٣.

(٢) نسبة إلى الشيخ إبراهيم أبي اليقظان (١٨٨٨ - ١٩٧٣ م) صحفي وشاعر وفقه ومؤرخ جزائري، أنشأ ثمانين جرائد ما بين ١٩٢٦ و ١٩٣٨ م وهي: وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، النور، البستان، الثبراس، الأمة، الفرقان. لمزيد من التفاصيل ينظر الدكتور محمد ناصر وكتابه: أبو اليقظان وجهاد الكلمة.

ولا شك أن قلوب الإخوان هناك توافقة إلى أخبار إخوانهم هنا، والاطلاع على أخبار البطل، صاحب الدولة الوزير الأفخم الباروني أيده الله وأعانه، وكيف سير الأحوال لديه." (١)

وعن جريدة الأمة لأبي اليقظان أيضاً، وردت إلى الجريدة رسالة من عمان، تبارك أعمال الشيخ أبي اليقظان، وتوازى نشاط المصلحين في وادي ميزاب، وترجو التحاح والازدهار للجريدة: "أما جريدة الأمة الغراء، فهي لا تزال تصلنا بالبريد، وشوقنا إليها عظيم، ويعلم الله كم يحدث لنا من السرور بورودها، حيث تكشف لنا عن خالص الودّ والعواطف القلبية، تطلعنا على ما يهمننا الاطلاع عليه من الثقافة والرقى، فزدنا من حديثك يا سعد، بارك الله غضتكم، وحفظكم من كيد الكائدين. ولئن كان الجمود ضارباً أطنابه بهذه البلاد، وكان للجامدين لحدّ الآن الكلمة المسموعة في أغلب مظاهر الحياة هنا، إلّا أننا نحن النزر اليسير من المفكرين نقدر جهودكم، ونرى أن السير - ولا شك - في هذا الزمن بمقتضيات العصر من الضروري لمن أراد الحياة في عزّ وسعادة، والله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ والقوة شاملة لكل ما دفع ضرراً وجلب نفعاً، ولا يسعنا إلّا أن نسأل الله الكريم لجريدة الأمة الغراء بطول العمر والبقاء." (٢)

هذان النصّان يعبران أصدق تعبير عن العلاقة العاطفية الحميمة التي تربط أهل عمان وأهل ميزاب. في النصّين تشوّق لمعرفة الأخبار والأحوال، وتبادل التهانّي، ومباركة النشاط، ونصرة الإصلاح، والدعوة إلى مضاعفة الجهود للوقوف في وجوه المعرقلين والجامدين. والنصّان أثبتا تشابه الأوضاع في الجهتين، وأكدّا على

(١) * وادي ميزاب في عمان *، جريدة وادي ميزاب، ع: ٢٨، ١٩ شوال ١٣٤٥ هـ / ٢٢ أفريل ١٩٢٧ م.

(٢) * ماذا في عمان : جريدة الأمة بعمان *، جريدة الأمة ع: ١٦٨، يوم ٢٤ ربيع الأنور ١٣٥٧ هـ / ٢٤ ماي ١٩٣٨ م، إمضاء مكاتبكم، مسقط .

وحدة المشاعر، وعلى التّبة والرّغبة في تنسيق الجهود، وتوحيد الكلمة، وعلى التعاون على بعث التّواصل الثّقافي بين المشرق والمغرب...

من خلال ما ذكرناه، ومن الأمثلة القليلة التي عرضناها، يتأكّد لدينا حرص الإباضية في المشرق والمغرب على نشر كتبهم في المنطقتين معاً، وعلى متابعة كلّ ما يصدر هنا أو هناك من جديد. بل إنّ الإباضية كان يستعين بعضهم ببعض في تنشيط الجهة التي ينتشر فيها الجهل، وينضّب العلم، ويقلّ المرشدون والمعلّمون، وذلك بتزويدها بالكتب والتّشرات. كانوا يقومون بذلك؛ دعماً للصّلة، وتمتينا للعلاقة، وضماناً للتّواصل الثّقافي. وما يزال هذا التّواصل قائماً إلى اليوم.

لقد كان لكلّ ذلك أثره الكبير في تزويد المكتبة الإسلامية بمؤلّفات أغنت الفكر الإسلامي، وقربّت المسافة بين المشرق والمغرب وضيّقت الشّقة بين أبناء الإسلام.

نشير في التّهاية إلى أنّ هناك مخطوطات مشرّقة كثيرة انتقلت إلى المغرب. يمكن تصفّح " دليل مخطوطات وادي ميزاب " وبخاصّة مخطوطات مكتبة آل يدر " ببني يسجن^(١) للوقوف على هذه الحقيقة.

إلى جانب تبادل الكتب والمؤلّفات والتّشرات فقد كان هناك مجال آخر للتّواصل الثّقافي، حاول الإباضية بواسطته خدمة الثّقافة الإسلامية بعامّة، والفكر الإباضي بخاصّة، هو مجال التعاون في التّأليف.

(١) نشر جمعية الثّراث بالقرارة (الجزائر)، رمضان ١٤١٤هـ / فيفري ١٩٩٤م. وهو دليل يشتمل على الثّعارف بمئة (٦٠٠) عنوان لو مخطوط إياضي وغير إياضي، مشرقي ومغربي. نشير هنا إلى أنّ جمعية الثّراث قامت بفهرست مجموعة من المكتبات بوادي ميزاب، التي تشتمل على مخطوطات، وهي تنوي نشر لة عليها. وفيها نلاحظ كثرة الكتب والمخطوطات التي انتقلت من المشرق إلى المغرب. وفي المقابل وفي عمان نقف على عناوين مغربية كثيرة انتقلت إليها. ينظر على سبيل المثال زلوة الثّراث القومي والثّقافة، ومكتبة الشّيخ السالمي ببدي، ومكتبة الشّيخ سالم بن حمد الحارثي بالمضيرب، ومكتبة السيّد محمد بن أحمد آل سعيد بالسّيب وغيرها.

* التعاون في التأليف

من بين أكبر المجالات التي يبرز فيها التواصل الثقافي، والتلاحم الفكري بين إباضية المشرق والمغرب، مجال التعاون في التأليف، الذي نقرأ فيه التكتاف على إبراز الفكر الإباضي، وحمايته من حملات الهجوم والتشويه، والعمل بجدية للتعريف بهذا الفكر. وقد كان لذلك أثره الإيجابي في حفظ هذه العلاقة وضمان التواصل الثقافي، رغم الهزات التي مرّ بها الإباضية في حياتهم مشرقا وغربا.

وقد كان هذا التعاون يتم بطرق كثيرة، بشرح بعض الآثار، أو اختصارها أو تحشيتها، أو نظم المنشور، أو نشر المنظوم، أو التعليق، أو تشطير القصائد وتخميسها، ويكون أحيانا بطلب جهة أخرى التأليف في موضوع معين أو الرد على آخر.... نحاول فيما يأتي ضرب أمثلة على هذا التعاون مع الإحالة إلى المصادر والمراجع :

❁ مسند الإمام الربيع بن حبيب البصري العماني، المتوفى عام ١٧٠/ هـ - ٧٨٦م بصحار في عمان، جُمعَ هذا المسند في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، ربّه على الأبواب الإمام أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني الجزائري (ت ٥٧٠ هـ). كما نجد للشّيخ عبد العزيز الثّميني تأليفا على المسند سمّاه " مختصر حواشي الترتيب لمسند الربيع بن حبيب ".^(١) وقد حشّى على مُسنَد الربيع الحاج محمد بن يوسف طفّيش (ت ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م). إن مسند الإمام الربيع المعروف عند الإباضية بالجامع الصحيح، سلسلة ثلاثية، وهو جزءان، أمّا الثالث منه ففيه احتجاجات الربيع على مخالفيه، والرابع هو من

(١) نهضة الجزائر الحديثة... ج ١، ص : ٢٧٥.

روايات أبي سفيان تلميذ الربيع. وقد احتوى المسند على معظم أبواب الفقه الإسلامي.^(١)

إنَّ أبا يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني هو الذي ضمَّ الآثار التي احتجَّ بها الربيع على مخالفه، وما رواه عن ضمام عن جابر، وكَوَّن منها الجزء الثالث من الكتاب، ثمَّ أضاف روايات أبي سفيان محبوب بن الرَّحيل عن الربيع، وروايات الإمام أفلح بن عبد الوهاب عن أبي غانم الخراساني، ومراسيل الإمام جابر بن زيد، وكَوَّن من ذلك الجزء الرابع للكتاب، وعرف بعد ذلك بعنوان " ترتيب المسند ".^(٢)

وقد وضع أبو يعقوب رسالة للتعريف برجال مسند الربيع وشيوخهم وتلامذتهم، لكنَّها في عداد آثاره المفقودة.^(٣)

✽ للشيخ محمد بن إبراهيم بن سليمان الكندي المتوفى في ١٢ رمضان ٥٠٨ هـ، صاحب كتاب بيان الشرع (٧٢ جزءاً)، لهذا الشيخ " قصيدة العبيرة في وصف الجنة "، طلب العمانيون من الشيخ طفيش الحاج أحمد شرحها، في رسالة مؤرَّخة بيوم ٢٩ من شوال سنة ١٣٠١ هـ، وقد أرسلوها له بواسطة محمد الصالح الكاباريتي المكي، مطَّوف بني مصعب، طلبوا منه شرحها شرحاً يفهمها

(١) الدكتور مبارك بن عبدالله الراشدي، * نشأة التكوين للفقه واستمراره عبر العصور *، ينظر كتاب ندوة الفقه الإسلامي، المنعقدة بجامعة السلطان قابوس في الفترة من ٢٢ - ٢٦ من شعبان ١٤٠٨ هـ / ٩ - ١٣ من أبريل ١٩٨٨ م، ط١، نشر وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية، سلطنة عمان، سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص : ١٨٦، ١٨٧.

(٢) ينظر الشيخ عبدالله بن حميد السالمي، شرح الجامع الصحيح مسند الربيع ابن حبيب، ج١، ط ١. (ب. ط) ص : ٣. ومصطفى بن صالح باجو، * أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي * رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، معهد الشريعة، قسنطينة (الجزائر) السنة الدراسية: ١٤١٢ - ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ - ١٩٩٣ م، ص : ١٠٦.

(٣) أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي... ص : ١٠٦.

حتى العامة ^(١) وكانوا متوكفين لوصول الشرح إليهم، حتى ظفروا بمبتغاهم، فأرسلوا إليه شاكرين : " وقد وصلنا منك شرح متن العبيرية كاملاً، وأربع كراريس من شرح متن اللامية، فيا له من شرح بلغ الغاية في الموافقة ودلائل المطابقة، فلك في ذلك السابقة، والمعجزة التي للعوائد خارقة، وواصلك الآن الشرح الأول، الذي أردته المعلق على متن العبيرية، أرسلناه إليك بصحبة الحاج، الفئة العمانية، ليرسلوه لك بصحبة الفئة المغربية، فأين البون ما بين الشرحين، فإن يكن الأول كوكبا مائيا فهذا هو البحر، أو كوكبا سماوياً فهذا هو البدر، فأنعم على أهل مذهبك بإتمام شرح اللامية مع شرح الدعائم، فإتھم ولھون لشرحھا... " ^(٢)

✻ من الكتب العمانية المهمة التي وصلت المغرب الإسلامي، وكانت لها مكانة خاصة في نفوس أهله كتاب " الدعائم " لأحمد بن التّظر العماني، وهو من علماء القرن السادس، والكتاب عبارة عن قصائد في العقيدة والأحكام الشرعية. وقد وصل الكتاب إلى أهل المغرب من دون شرح أولاً ثم بشرح أحمد أو محمد بن وصّاف العماني، المسمّى " الديوان"، وصل الشرح مع أبي موسى عيسى بن زكريّا ء " وكان هذا الكتاب محلّ دراسة وتقدير، حتى الإباضية هناك كانوا يعتبرون ما خالفه، هو مخالف للسنة. " شرح الكتاب من الجزائريين الحاج محمد طفيش، في جرائن، وعقب على عمل الشيخ طفيش الشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخنصي العماني (ت ١٤٠٩هـ / ١٩٩٠م) وذلك بأن جمع الآراء التي استخرجها القطب من شرحه للدعائم، في كتاب سماه " نور السعادة في الحاصل والزيادة " ذكر لنا ذلك أثناء زيارتنا له في مستشفى مدينة سمائل في أغسطس سنة ١٩٨٤م.

(١) الكتاب الثاني والثلاثون من مجموعة ٤٤ كتاباً. وقد وجدتُ عدة رسائل من عمان إلى القطب، تطلب منه شرح قصيدة : " العبيرية " .

(٢) الكتاب الأربعون من مجموعة ٤٤ كتاباً. الكتاب مؤرخ بيوم ٢ من ذي الحجة، سنة: ١٣٠٣ هـ.

كما شرح كتاب الدّعائم الشّيخ أبو يعقوب يوسف بن عدّون، ولد سنة ١١٥٨ هـ وتوفي في النّصف الأوّل من القرن الثالث عشر الهجري، أحد أعضاء الشّيخ عبدالعزيز الثّميني، وأحد تلامذته بالزّمالة. (١)

بينما نجد الشّيخ عبد العزيز الثّميني (ت ١٢٢٣ هـ) يشرح لامية ابن النّظر، وسمّى كتابه الذي تضمّن الشّرح "الأسرار التّوارثية على المنظومة الرّائية"، يقول الشّيخ محمد عليّ دبّور (١٩١٩ - ١٩٨١ م) "لقد كانت المدارس الثّانوية في ميزاب في صدر التّهضة الحديثة تحفظ هذه المنظومة وتدرّسها، لأنّ الصّلاة عماد الدّين، إنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي سبب صلاح المجتمع وطهر النفوس، فخصّها علماء المسلمين من بين أبواب الفقه بالتأليف" (٢) والشّيخ نفسه أي الشّيخ عبد العزيز الثّميني يختصر كتاب "منهج الطّالبيين وبلاغ الرّاغبين" وهو يقع في اثنين وعشرين جزءاً للشّيخ حميس بن سعيد الشّقصي الرّستاقبي العماني، توفي حوالي (١٠٦٠ هـ) اختصره في سبعة مجلّدات (٣) وسمّاه "التّاج المنظوم في درر المنهاج المعلوم" وهو ما يزال مخطوطاً.

في مقابل أعمال المغاربة التي عقّبوا بها على مؤلّفات المشاركة، نجد لأهل المشرق التفاته إلى تصانيف أهل المغرب، فقد أولوها عناية كبيرة، فعقّبوا عليها بدورهم. فمن بين علماء القرن الرابع عشر الهجري، الشّيخ سيف بن حمد الأغبري الذي يمكن أن نستشهد بعمله في هذا المجال، إذ له كتاب "فتح الأكمام عن الورد

(١) نهضة الجزائر الحديثة.. ج ١، ص: ٢٨٢.

(٢) م. س. ص: ٢٧٤.

* طبعته وزارة الثّراث القومي والثقافة العمانيّة سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م، بعد أن ضبط نصّه الأستاذان: محمد بن موسى بابا عمّي ومصطفى بن محمد شريفي.

(٣) مبارك بن عبدالله الرّاشدي، ينظر كتاب ندوة الفقه الإسلامي... ص: ٢٠٦، بينما يذكر الشّيخ محمد عليّ دبّور أنّه يقع في عشرة مجلّدات، ينظر نهضة الجزائر الحديثة... ج ١، ص: ٢٧٤

البسام " وهو نظم لكتاب " الورد البسام في رياض الأحكام " للشيخ عبد العزيز الثميني الجزائري، وقد أضاف إليه الشيخ سيف إضافات مهمة.^(١)

كما نظم الشيخ خلفان بن جميل السيّابي (ت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م) كتاب " النبل وشفاء العليل " للشيخ عبد العزيز الثميني وشرحه في أرجوزة تبلغ اثنين وثلاثين ألف بيت. سمى هذا العمل "سلك الدرر الحاوي غرر الأثر ". والكتاب مطبوع في مجلدين، وهو غزير المادة، يشمل أبواب الفقه مع الأخلاق والتاريخ المحلي والسير، وقد أضاف الشيخ السيّابي على النبل وشرحه وصحّح وضعف^(٢)

وللشيخ أبي مالك بن حميس المالكي العماني (ت ١٣٤٦ هـ) كتاب، عنوانه " موارد الألفاظ نظم كتاب العدل والإنصاف " ^(٣) وهو نظم لكتاب " العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف " لأبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني الجزائري (٥٠٠ - ٥٧٠ هـ).

وقد أورد الأستاذ مصطفى بن صالح باجو هذا الكتاب بعنوان آخر وهو : "موارد الألفاظ بنظم مختصر العدل والإنصاف ". أي إنّ الشيخ عامر بن حميس المالكي قد نظم كتاب " شرح مختصر العدل والإنصاف " ^(٤) للشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت ٩٢٨ هـ) وليس كتاب الوارجلاني. ويذكر الدكتور مبارك بن عبدالله الراشدي أنّ محمد بن شامس البطّاشي(ت ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) قاضي المحكمة الشرعية بمسقط، وصاحب

(١) ندوة الفقه الإسلامي... ص : ١٩٨.

(٢) م، س، ن .

(٣) م. س، ص : ٢٠٩.

(٤) أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي...، ص : ١٤٩.

هذه نماذج من التعاون في التأليف بين المشارفة والمغاربة، وفيها لاحظنا كيف كان يتتبع بعضهم بعضاً في تأليفهم بمختلف أوجه التتبع، وطرق التعقب والتعقيب. إن هذا لا يدل إلا على شيء واحد، وهو التلاحم الفكري والصلة الروحية، التي ما تفتأ تنمو بينهم، وتتعزز بمرور الزمن.

ونجد في سياق هذا العمل التعاوني في التأليف طلبات ودعوات من المشرق والمغرب إلى التأليف والكتابة. وسنكتفي بإيراد مثالين مما ورد على الشيخ الحاج محمد بن يوسف طفيش من طلبات ملحة من عمان على التأليف في موضوعات معينة. هذه الظاهرة التي تكررت كثيراً مع الشيخ طفيش تحتاج إلى تفسير، ليس هنا مقام تناول ذلك.

في رسالة بعث بها العمانيون إلى الشيخ طفيش، يطلبون فيها شرح قصيدة العبرية ثم لامية ابن النضر قالوا له: "فأما شرح اللامية فنريد تفصيله على ثلاثة وجوه غير مشتركة، بل تجعلها بحثاً، الأول في إعرابه وما يلحق به من علم المعاني والبيان والمنطق، والثاني في غريب لغته، والثالث في معناه الظاهر وخبره الشاهر، يفهمه البادي والحاضر، ويين لنا في أولها مع ذكر لأئمة الدين، ومن خالف سبل المهتدين شروط الولاية والبراءة..."^(١)

وفي رسالة أخرى بعث بها الشيخ طفيش إلى العمانيين، مستفسراً فيها عن طلبهم له تأليف كتاب، وكيف يكون: "أيها الشيخ سالم بن سلطان بن قاسم، وعلى جميع الإخوان من طلبة ومشايخ عمان، من كاتبه محمد بن يوسف طفيش، ومن الطلبة كلهم المزابيين والحرييين والتفوسيين، وبعد فإني وجدت في كتابكم

(١) ندوة الفقه الإسلامي.. ص: ٢١٢.

(٢) رسالة موجودة في مكتبتي.

أنكم تطلبون كتابا مختصرا للمبتدئ، فكيف تطلبونه وعندكم كتاب الشيخ درويش وأبي إسحاق الحضرمي من مشارقتنا، وكتاب الوضع من مغاربتنا. فإن كان ولا بد فاعبروني على أي وجه يكون، أي الأحكام أو في الذيات أو في النوعين جميعا...^(١)

من خلال ما قدمناه من أمثلة ونماذج في مجال التأليف وتبادل الكتب، واستنساخ المخطوطات، وإهداء الكتب، وحبس بعضها في سبيل الله، وإعادة طبع أخرى من الجهتين، وهو ما نشط في الوقت الحاضر أكثر، إذ ما يظهر كتاب في المغرب أو المشرق إلا ويعاد طبعه في الجهة الثانية، وأهل المشرق أنشط في هذا المجال من أهل المغرب، من خلال كل ذلك تتأكد لنا هذه العلاقة، أو هذا التواصل الثقافي والفكري بين إباضية المشرق والمغرب. هذا التعاون كان من بين العوامل التي حافظت على الوجود الإباضي، وأعانت على تصحيح كثير من المفاهيم، وإزالة كثير من العقبات، للتقرب من الفكر الإباضي، الذي ظل مجهولا لدى كثير من الناس، وقد لفت هذا التعاون في إبراز الفكر الإباضي، لفت أنظار الناس إليه، وشجع الباحثين، ورغبهم في التعرف عليه؛ لكونه جزءا من التراث والفكر الإسلاميين.

إن هذه نتيجة إيجابية ومهمة في هذا العمل التعاوني والتآزري. من هذه الزاوية وهذا المنطلق يجب أن يفهم ويفسر هذا التوجه وهذا السلوك، بعيدا عن أي تأويل آخر.

(١) مما يلفت نظر الباحث، وهو يدرس العلاقة الثقافية بين إباضية المشرق وإباضية المغرب، هذا العمل الكبير الذي قاموا به في نقل الكتب بين المشرق والمغرب، المتمثل في نسخ الكتب، التي يؤلفها علماء الجهتين، وأحيانا يُنصَر فيها : إنها هدايا أو وقف في سبيل الله للطلبة أو لمن ينتفع بها. وهذه كلها مخطوطة. يمكن الرجوع إلى الأدلة التي أعدتها جمعية التراث بالقرارة (الجزائر) للوقوف على الجهد الكبير الذي بذل في هذا المجال، مجال النسخ، رغم ضعف الوسائل والإمكانات، إلا أن الرغبة في نشر الفكر والعلم والتكوين والإبقاء على التواصل الثقافي وتطويره كانت تتحدى هذه الصعوبات والظروف.

إذن إنَّ هذا الوجه من أوجه التواصل الثقافي، هو عمل يندرج ضمن مسار خدمة الفكر الإسلامي بعامة والفكر الإباضي بخاصة.

• تبادل الرسائل

أهم وسيلة من وسائل التواصل الثقافي، التي كانت سائدة منذ البدايات الأولى لنشأة المذهب الإباضي وانتشاره - وما تزال - كانت وسيلة المراسلة، وكان يُلجأ إليها حين يتعذر التنقل والارتحال.

لقد حفظت لنا كتب السير والطبقات والتاريخ والفقه والأدب وغيرها مجموعة من هذه الرسائل، كمدونة أبي غانم، وسير نفوسة، وسير أبي زكرياء، وطبقات الدرجيني، وسير الشماخي وبيان الشرع، وقاموس الشريعة، وتحفة الأعيان، وأجوبة أبي خليل، وكشف الكرب، وشرائع الدين، والأزهار الرياضية... زيادة على وجود رسائل مخطوطة في مجموعات، أو متناثرة هنا وهناك...

يدلّ وجود هذه الرسائل في هذه الكتب، وفي هذه المجموعات، مختلفة المحتوى والمضمون، يدلّ على تنوع موضوعات هذه الرسائل. وأغلبها كان ذا طابع علمي، فيه استفتاء واستشارة، وطلب كتب أو تأليف أخرى، واستغاثة وتقديم نصائح، وتعليم مسائل، وفضّ نزاعات وإزالة سوء تفاهم، وحثّ على الوحدة والائتلاف...

من الرسائل الأولى التي أرسلها أهل المشرق إلى أهل المغرب، وكان لها أثرها الكبير في نشاط المذهب الإباضي، وتأصيله في المغرب الإسلامي رسائل أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (١٤٥هـ/٧٦٢م) والربيع بن حبيب (١٧٠هـ/٧٨٦م) وأبي سفيان محبوب بن الرحيل (عاش في القرن الثالث الهجري)، ومحمد بن محبوب بن الرحيل (ت ٢٦٠هـ / ٨٧٣م)... وقد مرّت الإشارة إلى هذه الرسائل في أثناء البحث.

نشير هنا إلى جواب الشيخ محمد بن محبوب بن الرّحيل^(١) إلى أهل المغرب، وهو المعروف بـ " سيرة الشيخ الفقيه محمد بن محبوب " ^(٢) وقد سأله المغاربة أسئلة دينية كثيرة. وقد بدأ هذه السيرة بقوله: " إلى جماعة من كتب إليه من المسلمين من أهل المغرب، من أخيه محمد بن محبوب، سلام عليكم، فأني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا الله حمدا كثيرا، وهو لذلك أهل، وأسأله الصلاة على محمد ﷺ تسليما، أوصيكم بتقوى الله وذكره كثيرا، وذكر ما أنتم إليه صائرون، وعليه موقوفون، وعنه مسؤولون، وأحثكم على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظتم عليه من أمانته، وافترض عليكم من عبادته بإتيان ما به أمر، والانتهاز عما عنه زجر، فيما أخذ عليكم من الميثاق، ورضي لكم به من أخلاق، من ترك المحارم، والكفّ عن المظالم، واجتناب الكبائر، والعمل على البصائر، في آناء الليل والنهار، والعلانية والإسرار، فإن ذلك أحق ما كنتم له طالبون، وفيه راغبون، وعليه مواظبون، قبل انقطاع آمالكم وحلول آجالكم، وما توفيقنا وإياكم إلا بالله، أما بعد... " ^(٣)

أهم ما ورد في الرسالة أو السيرة حديث عن الإمامة، وموضوع الزكاة، ومسألة تولية العمال والقضاء، وإقامة الحدود، وقضية الارتداد والتقية، كما تناولت السيرة أيضا موضوعات أخرى كالغزو والجهاد...

من خلال عرض بعض موضوعات الرسالة التي كانت طويلة (٤٥ صفحة) نقف على الرغبة الصادقة في الانطلاقة الحسنة التي أرادها أهل المغرب في مسيرتهم،

(١) الفقيه محمد بن محبوب (أبو عبدالله) شارك هو وأسرته في الحركة العلمية في عمان. وفي الأحداث السياسية فيها. وهو رأس علماء عمان في عهده، وقد بلغ درجة الاجتهاد المطلق، وإذا قيل في الأثر المشرق قال " أبو عبدالله فهو المقصود " .

(٢) تنظر هذه السيرة كتاب " السير والجوابات لعلماء وثمة عمان " ج ٢ تحقيق، وشرح الأستاذ الدكتور سيدة إسماعيل كاشف. نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان سنة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م ص : ٢٢٣ - ٢٦٨.

(٣) م. م، ص : ٢٢٣، ٢٢٤.

إذ كانوا يسألون عن أمور مطلوبة في مجال التكوين والإعداد والبدء في الحركة والنشاط، حتى تكون الانطلاقة على أساس سليم، تصدر عن وجهة نظر الدين الإسلامي.

وكانوا قد استشاروا بجهد الأمة وعالم الإباضية فيما أشكل عليهم واستجدّ في السّاحة، الذي فرضه الواقع المعيش، والنشاط الذي بدؤوا يقومون به. إنّ هذا يدلّ على العلاقة الفكرية والثقافية التي تربط المشرق بالمغرب. إنّ هذا هو التلاحم الشعوري والعاطفي القوي.^(١)

يعلّق الدكتور فرحات الجعبري على المسائل التي وردت في سيرة محمد بن محبوب إلى أهل المغرب قائلا: "إنّ التحليل الحضاري لهذه المسائل يثبت أنّ البيئة الإباضية في المشرق والمغرب، عرفت من التعقيد الحضاري الشّيء الكثير، ذلك أنّها دبّ فيها الخلاف الداخلي، وهو من أكبر عوامل الوهن، إلى جانب ما كانت تواجهه على الجبهة الخارجية من ضغط الدولة العباسية... ومثل هذا المحيط من الصّراع الداخلي من شأنه هو الآخر أن يثير عدیدا من القضايا الدّقيقة في شأن أولي الأمر، خاصّة وأنّ الفكر الإباضي اتّسم من يومه الأوّل بالتحري الكبير في شأن هؤلاء، وكانت ثورتهم حيثما قامت ثورة على الظّلم والظّالمين، مهما قلّت نسبة هذا الظّلم."^(٢)

من هنا كانت سيرة محمد بن محبوب إلى أهل المغرب، أو جوابه إليهم ذات أهمية، لأنّها أجابت عن أسئلة، سبّبها خلافات وقعت في المغرب، ومضمونها إجابات علمية معتمدة على الحجّة والدليل، وصادرة من فقيه وعالم بجهد. والرّسالة صدرت في المراحل الأولى من بدء انتشار المذهب الإباضي في المغرب

(١) هذه الملاحظات تنطبق على الرّسائل الأخرى، التي بعثها إلى أهل المغرب من كان قبل محمد بن محبوب، أمثال أبي عبيدة والرّبيع بن حبيب وأبي سفيان. ومن جاء بعد محمد بن محبوب...

(٢) علاقة عمان بشمال إفريقيا، ص: ٣٣.

الإسلامي بخاصة. وهي بذلك تكشف عن مستوى التفكير عند هذه الطائفة من المسلمين، وتبرز هذه العلاقة المبكرة بين المشرق والمغرب.

ورسالة فقهاء بعض المسلمين^(١) إلى الإمام الصلت بن مالك (٢٣٦ - ٢٧٣ هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٧ م) التي يرجح الدكتور فرحات الجعبري أنها من أهل المغرب.^(٢) هذه الرسالة لا تخرج عن المسار والدائرة التي دارت فيها رسالة محمد بن محبوب في الروح التي تحملها، والأفكار التي تناولتها، والموضوعات التي عرضت لها، والأسباب الداعية إلى كتابتها. فقد كتبت في موضوع الاختلاف والشقاق والتنازع والتشاجر والفتنة ثم الدعوة إلى الائتلاف والاتحاد، ثم تطرقت إلى موضوع الإمامة وشروطها وما يتعلق بها، وأحكام الولاية والبراءة والوقوف...

جاء في افتتاحية السيرة: " بسم الله الرحمن الرحيم، إلى الإمام الصلت بن مالك المتبلى بأمور أهل عمان، ومن وصل إليه كتابنا هذا، من المسلمين من أهل عمان، من أهل التصيحة لهم والشفقة عليهم، من إخوانهم وأهل دعوتهم من أهل السر في أمكتهم، سلام عليكم، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة، وإليه المصير، ونوصيكم وأنفسنا بتقوى الله والعكوف على طاعته وإصلاح ذات بينكم، وبذل النصائح فيما بيننا وبينكم، بصدور سائلة وحجور حليلة، وحجة قائمة وأنفس غائمة، وقلوب صادقة وأعمال موافقة، وكلمة جامعة وعصمة مانعة، وتعاون على عظم الإسلام وعقد موثيقه، واستكمال فرائضه باتفاق الكلمة والوقوف على الشبهة، وترك طلب المعايب وسلوك أبواب المعاطب، والفشل والتنازع والفرقة بعد اتفاق الكلمة والجماعة. فإن التنازع والفرقة أعظم المعصية وأشد الفتنة، فاحذروا التنازع والفتنة والتدابير والاختلاف والتشاجر في أمر

(١) السيرة مثبتة في كتاب السير والجوابات... ج ١، ص: ١٨١ - ٢٢٨، ينظر أيضا الأزهار الرياضية... ج ٢، ص: ٢١١ وما بعدها.

(٢) ينظر كتاب علاقة عمان بشمال إفريقيا، ص: ٣٥.

قد كفيتم مؤونته وعرفتم عاقبته، فعاتبوا أنفسكم في خلواتكم وأرسلوها واعزلوها وذمّوها، فاعترفوا بذنوبكم، وتوبوا منها إلى ربكم، وارجعوا إلى معالم دينكم، الذي أعز به الله نصركم وقوى فيه أمركم، وأعلى به كلمتكم وجمع به ألفتكم، بمثل الذي كنتم عليه وأفضل من المحبة والمعونة والموازية وترك قيل وقال، ومسالك سبيل الضلال، وأخلاق الجهال، وما التوفيق إلا بالله، أمّا بعد ...^(١)

على العموم جاءت الرسالة مفعمة بالمحبة وحُب الخير، وطافحة بالشعور بالتلاحم والرباط، الذي يربط المشرق بالمغرب، وكانت في كلّ ما عاجلته، وما أثارته من مسائل. واللّهجة التي كتبت بها - التي كانت كينة أحياناً، وشديدة أخرى - كانت في كلّ ذلك تدعو إلى الائتلاف؛ لأن أصحابها كانوا يشعرون أنّ الأمة على وشك الافتراق. وكانوا يقدرّون عاقبة ذلك على مستقبل الإباضية. خاصّة وأنّ المذهب الإباضي ما يزال في بدايته في التّقييد والتأصيل والانتشار. فهو في حاجة إلى أمثال هذه التّصانح والتّنبهات والتّحذيرات، وإلى الرّعاية والعناية كما جاءت في هذه السّيرة.

وفي القرن العاشر الهجري، نلتقي مع رسالة علميّة محضة لأبي مهدي عيسى بن إسماعيل^(٢) (ت ٩٧١هـ / ١٥٦٤ م) أجاب فيها عن أسئلة في الأصول والفروع، جاءت من أهل عمان. في الرّسالة إجابات عن مسائل، منها ما يتعلّق بالولاية

(١) السّير والجوابات... ج ١، ص: ١٨١، ١٨٢.

(٢) هو العلامة الورع الشّيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي. هو من عرش أولاد نائل، تمذهب بالمذهب الإباضي، بعد أن كان مالكيّ المذهب. أخذ العلم عن الشّيخ عيسى سعيد بن عليّ الجربي، وأخذ عنه الشّيخ الرّحالة الشّيخ محمد بن زكرياء الباروني (ت ٩٩٧ هـ / ١٥٨٩ م) وداود بن إبراهيم التّلاتي (ت ٩٦٧ هـ / ١٥٦٠ م) وإليه تنسب المقبرة المعروفة بـ (مقبرة الشّيخ سيدي عيسى) بمدينة ملكية بوادي ميزاب. وكانت روضة هذا الشّيخ مقرّ العزّابة عند انعقاد مجلسهم الرّسمي للقصور الميزابية السّبع حديثاً. ينظر الشّيخ عليّ يحيى معمر، وكتابه الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، ط ١ - مطبعة الدّعوة الإسلاميّة - القاهرة - نشر مكتبة وهبة - القاهرة سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ص: ٢٤٢ - ٢٤٤.

والبراءة والشفاعة، وخلق القرآن وقضية رؤية الباري... والرّسالة تقع في ثلاث وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط.^(١)

وفي القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، نلتقي مع رسالة للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، يخبر فيها أهل المغرب بتنصيب الإمام عزّان بن قيس بن عزّان بن قيس بن الإمام (١٨٦٨ - ١٨٧١م) وذلك جريا على عادة إباضية عمان وتقليدهم الذي يحرص على إبلاغ إخوانهم في المغرب بما يجري في عمان؛ بصفتها المركز الأوّل والأّم للإباضية، كذلك يفعل المغاربة ذلك، أي هم بدورهم يبادلون المشاركة العمليّة نفسها. هذا يدلّ على العلاقة الحسنة وعلى التواصل الموجود بين الجهتين.

ثمّ ورد في الرّسالة^(٢) : "...فهو الآن القائم بعمان، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويظهر السنن، ويميت البدع، وبغيت الملهوف، ويرشد الضّال، ويفيض الخير، ويقبض على يد كلّ جبار عنيد وفاسق مريد، فينفذ فيهم حكم الله، ولا يتجاوز بهم إلى ما لم يأذن الله به من الوعيد.

ولمّا كانت هذه من أكمل التعم الدّينيّة والمعارف الإلهيّة لظهور ما كان درس من الأحكام الشرعيّة، وجب أن نعرّفكم بها؛ لأنكم شركاء في كلّ ما كان من الأمور الدّينيّة المحمّدية، هذا ما لزم بيانه، والسّلام عليكم من كافة إخوانكم أهل عمان.^(٣)

(١) ينظر كتاب البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ص : ١٦٨، ١٦٩.

(٢) هي مؤرّخة بيوم ١٢ من ذي القعدة سنة ١٢٨٥هـ . تراجع في كتاب تحفة الأعيان بمسيرة أهل عمان ج ٢، ص : ٢٠٠.

(٣) أحمد عبيد لي، الإمام عزّان بن قيس، ط ١، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة ١٩٨٣، ص : ٩٦.

وللشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي أيضا رسالة تضمنت إجابة عن ثلاثين مسألة، أرسلها إليه السيد عمر بن يوسف بن عدّون المصعبي اليسجني، وقد اشتملت على مسائل في الموضوعات الآتية: الخطبة الزّواج، الطّلاق، الطّهارات، الغسل، الوضوء، التّيمم، الصّلاة، العلاقة مع أهل الكتاب والمشرّكين، مسائل في البيوع، وموضوعات مختلفة، وسرد بعض البدع والعادات المنتشرة في وادي ميزاب...

هذه الرّسالة كشفت عن كثرة البدع، التي كانت منتشرة في وادي ميزاب، وفي الوقت نفسه أبرزت الجهل الضّارب أطنا به في أوساط الوادي، رغم مجهودات العلماء في محاربتها، ونشر العلم بين النّاس.

نشير هنا إلى أنّ كثيرا من المسائل التي أثارها عمر بن يوسف ابن عدّون، وراسل فيها الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، قد تعقّب أجوبتها الحاج أحمد بن يوسف طفّيش. وقد كانت بين إجابات الشّيخين بعض الاختلافات والمناقشات.^(١) إنّ هذا يعدّ في حدّ ذاته نوعا من أنواع التّواصل الثقافي بين المشرق والمغرب.

إرسال هذه الرّسالة المتضمنة هذه المسائل إلى عمان في هذه الفترة (القرن التاسع عشر)، والعلم قد بدأ ينتشر في وادي ميزاب، ورأس الإباضية ومجتهد الأمة الحاج أحمد بن يوسف طفّيش موجود بين النّاس بعلمه وفقهه، وتلاميذه كانوا منتشرين في قرى الوادي - بل إنّ العمانيّين أنفسهم كانوا يبعثون بأسئلتهم إلى الشّيخ طفّيش، ويطلبون منه إجابات دقيقة ومقنعة - في هذا الوقت نجد من

(١) ينظر العلامة محمد بن يوسف طفّيش، كشف الكرب، ج ١. نشر وزارة الثّراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص: ٢٢٠، والجزء الثّاني، طبع سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص: ٧١، ٧٥، ١٤٣، ١٤٧، ١٦٥، ١٨٧، ٢١٣، ٢٤٧، ٢٤٧، ٣٤٧، ٣٦١.

يتخطى الحدود، ويتحمل المشاق، ويبحث رسائل إلى مكان بعيد، إلى عمان ليسأل عن دينه.

إرسال أمثال هذه الرسائل تثير أكثر من سؤال ! هل إن زامر الحبي لا يتررب ؟ لكون الناس كثيرا ما يحتقرون ذوي قرباهم، ولا يعيرون اهتماما لعلمائهم، ولمن يعيش بين ظهرائهم ؟ أم هو تعبى عن عدم اطمئنان بعض الناس إلى علماء المنطقة. وعاصرة وأن الجهة شهدت صراعا كبيرا بين العامة والعلماء. وقد كان بعضهم يصف العلماء بالمبتدعين، كما صنعوا مع الشيخ الحاج امحمد بن يوسف طفيش نفسه ، وهو الذي كان يشتكى من هذا التصرف.

في هذه الرسالة يشتكى صاحبها من انتشار الجهل، وقلة العلم وكثرة الابتداء... والشكوى نفسها نقرأها في بعض الرسائل التي أرسلها أهل عمان إلى الشيخ طفيش في وادي ميزاب. والروح نفسها الموجودة في رسالة عمر بن يوسف إلى الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، من الرغبة في معرفة رأي الدين في بعض المسائل المعروضة، نجدها في الكتابات الموجهة إلى الشيخ طفيش... هل يمكن اعتماد التأويل الذي قدمناه آنفا ؟ أم أن أهل كل جهة لم يقتنعوا بما كان يمليه عليهم علماءهم، ومن ثم لم يطمئثوا إلى فقه علمائهم وعلمهم، فغرقوا في البدع والخرافات.

وقد ترددت كثيرا عبارة " أهل زماننا يفعلون كذا " في رسالة عمر بن يوسف إلى الشيخ سعيد الخليلي. ولذلك لم تجد مجهودات العلماء في التوعية والتنبية إلى الأخطاء، والإرشاد إلى الصواب.

بسبب ذلك كان بعض الناس يستعينون بعلماء الجهة الثانية سواء في المشرق أم المغرب. هل يمكن تبني هذا التفسير والتأويل ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي يثيرها هذا التصرف.

مهما تكن التفسيرات المقدمة عن هذه الظاهرة، فإنها تلتقي في نقطة واحدة، وهي استمرار التواصل الثقافي والفكري بين المشرق والمغرب، والحرص على توثيقها وتنميتها، مهما تكن الظروف والأحوال .

ومن أجوبة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي (ت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م)، الذي كانت له مراسلات كثيرة مع أهل وادي ميزاب، وبخاصة مع قطب الأئمة وتلاميذه، نأخذ نموذجاً واحداً، وهو رسالة أرسلها إلى بعض الإخوان في ميزاب ردّاً على رسالة، يبدو أنها شكوى من بعض الخلافات، ومن بعض الاجتهادات التي قام بها المصلحون في وادي ميزاب، رآها خصومهم بدعاً وانحرافاً عن الدين، وعن المذهب الإباضي. وقد كان ردّ الشيخ الخليلي كلّ دعوة إلى نبذ الشقاق والخلاف، وإلى الاستمساك بالوحدة والاتلاف.

جاء في الرسالة بعد التحيّة والسّلام^(١): "... وبعد، فإنّ الوالد سيف سعيد الحاج المعولي، وحصل معنا سالماً، وتناولنا من يده كتبكم الحاملة لمزيد من التحيّات، ورسائلكم الحافلة بالأبحاث في المسائل التي اختلفتم فيها، ولا بدّ أن ينظر إخوانكم العمانيون فيها، ويطبّقون المسألة على أثر السلف الصّالح، المستخرج من الكتاب العزيز والسنة المطهّرة، مع أنّي إجمالاً : أوصيكم بالتّثبت في الأمور، وأن لا تعجلوا على إخوانكم بقطع العذر والبراءة، واحتملوا للمسلمين فيما كان فيه محتمل، ومن دين المسلمين أن لا ينصبّوا الرّأي ديناً، فإنّ الله ﷻ جعل هذا الدّين يسراً، وفتح للعلماء باب الاجتهاد، وألزم كلّاً بما أدّاه إليه اجتهاده، فيما لم يكن نصّاً عن الله تعالى بكتاب صادق، أو إجماع الأئمة، لثبوت العصمة لهم، فلا يجتمعون على

(١) الرسالة مرسلّة إلى المشايخ صالح بن عليّ، وصالح بن يحيى، وسعيد بن علي الميزابيين، وهي مؤرّخة بيوم ٢٠ من جمادى الأولى، سنة ١٣٧٣هـ .

ضلالة، وما كان وراء ذلك فهو محلّ اجتهاد وبحث، لا محلّ قطع العذر وتخطئات، فانظروا رحمكم الله بعين البصيرة، واعتمدوا على الحقّ، فهو السّيرة التي أثرها الأسلاف، وقد رأيت في غضون تلك الورقات، ما لو برهن بالبرهان لتبيّن أي بيان أنّه من مسائل الاجتهاد، وأنّ للرأي فيه مجالاً، وللعلماء فيه مقالا، فلا يفضي بها إلى التخطئات وقطع الأعذار، واعلموا أنّ النصوص تنهاى والحوادث لا تنهاى، فاقتضت حكمة العليم الخبير الرؤوف الرّحمن الرّحيم أن جعل للعلماء النظر والاجتهاد، وأن يحكموا على الحوادث بما أدّاه إليه اجتهادهم في الاستنباط والوزن، والعيار لذلك جاء **(مَا قَرَّرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)** فالله الله فيما يجمع الكلمة والتآلف، ويبعد الشّحناء والتخالف. قال تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ قَرَّؤُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)** فما عني الإسلام بشيء أعظم وأطمّ من التّخالف المؤدّي إلى الفشل المنتج لانحلال القوى، وذهاب الدّول. هذا فإنّ إخوانكم أهل عمان حريصون على اجتماعكم، ونظام جماعتكم، ويسوؤهم جدّا ما يبلغهم عنكم من التّفرق، جمعكم الله على الهدى، وسلّكنا وإياكم لهج سلفنا رضوان الله عليهم، فالسّلام عليكم جميعاً. ^(١)

ومن بين العلماء الجزائريّين، الذين كانت لهم مراسلات مع العمانيّين الشّيخ الحاج إبراهيم بن نوح متياز (ت ١٩٨١م)، وبخاصّة مع الشّيخ سالم بن محمد بن سالم الرّواحي العماني سواء لما كان في زنجبار أم في عمان. وقد كان بينهما تبادل رسائل وقصائد، وذلك في العشرينيّات والثلاثينيّات من هذا القرن، وكان السّؤال

(١) الشّيخ محمد بن عبدالله الخليلي، الفتح الجليل من لجوبة الإمام أبي خليل، طبع بإشراف عزّالدين النّوخي - المطبعة العمومية بدمشق - سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص : ٥١، ٥٢.

دائما عن أخبار الأمة والمشايخ، وعن أنباء العلم والعلماء والكتب، وعن بعض التفصيلات مما يتعلق بأحوالهم الخاصة.^(١)

في رسالة مؤرخة بيوم ١٢ من جمادى الأولى ١٣٤٤هـ، يخبر ويشكر فيها الشيخ سالم بن محمد الرواحي الشيخ الحاج إبراهيم متياز على وصول هدية من عنده، تمثلت في كتاب التحفة والتوأم لقطب الأئمة من زنجبار. وفي رسالة أخرى مؤرخة بيوم ٢٥ من صفر ١٣٤٨ هـ، أرسلها إليه الشيخ سالم أيضا بواسطة الإمام إبراهيم بن عمر ييوض (١٨٩٩ - ١٩٨١ م) في أثناء اللقاء في موسم الحج، يخبره فيها بإرسال نسختين من كتاب "تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان" ج ٢ للإمام الشيخ السالمسي (ت ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م).

أما أهم شخصية جزائرية كانت لها مراسلات مكثفة وكبيرة الجدوى ومتنوعة الموضوعات ومع مختلف فئات المجتمع العماني: علماء ومشايخ وأئمة وحكاما وطلبة وعامة الناس... فهي الشيخ الحاج أحمد بن يوسف طفّيش، التي تحتاج مراسلاته إلى بحث مستقل؛ لإبراز جانب من العلاقة الثقافية والتواصل الفكري بين المشرق والمغرب. ومن ثمّ إلقاء مزيد من الأضواء على مسيرة الفكر الإباضي، والوقوف على طبيعة البيئة التي ترعرع فيها هذا الفكر في إحدى مراحلها، ومعرفة الجو الذي كان يتحرك فيه العالم المجتهد، والفقيه الذي يسعى إلى خدمة أبناء الإسلام، وخدمة الثقافة الإسلامية بعامة، ووعي الواجبات التي على العالم القيام بها نحو أمته ومجتمعه، والتي لا تعفيه منها الظروف التي يستمسك بها البعض ويتدرّع بها؛ فيتخلّوا عن هذه الواجبات، وهم في الحقيقة يفتقرون إلى الإرادة والعزيمة والقدرة على تخطي العراقيل النفسية والاجتماعية والمادية.

(١) اطلعت على مجموعة من هذه الرسائل في مكتبة الحاج إبراهيم متياز في بني مسجن (الجزائر) يوم ١٦ من جانفي ١٩٩٤م.

لقد كانت مراسلاته مع العمانيين كثيرة جداً، حتى ليتصور الباحث أن ليس للحاج محمد طفيش من عمل سوى مراسلة العمانيين. لقد أحصيت - فيما أطلعت عليه - في سنة ١٣٠٤ هـ وحدها حوالي أربعين رسالة له من عمان، وهذه الرسائل عبارة عن أسئلة تحتاج إلى إجابات علمية ضافية، أو ردود لا تقبل الانتظار والتأجيل، زيادة إلى ما تضمنه الكتاب الذي جمعت فيه رسائله إلى عمان المسمى "كتاب الكرب" وهو في جزأين، ويقع في أكثر من ٥٠٠ صفحة. ^(١)

في افتتاحية إحدى رسائله ما يثبت ما قلناه؛ إذ يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، سلام على الشيخ العالم العارف، والمحبة، جزاه الله على حبه ما لا يوصف، عيسى بن صالح الحارثي، من كاتبه محمد بن يوسف الذي، لم تنقطع كتابته عن أهل عمان، إلا أنها لا تصل لبعد المسافة واختلاف الاصطلاحات، فإما أن ترسلوا إليّ كتبكم وقماطر فارغة معنونا عليها بالخط العجمي من طريق مسقط، وإما أن أرسل إليكم الأجوبة من جهة زنجبار في قماطر نحو الشيخ سالم بن محمد فقط. وإن ظهرت لكم طريقة أخرى صرت إليها، فهي أخرى وكذا الأجوبة عن أسئلة الشيخ عبد الله بن حميد، وقصدي ما يسركم ويفيد وبعد..." ^(٢)

إنّ الرسائل التي كان يرسل بها الشيخ طفيش إخوانه في عمان تضمنت مسائل في العقيدة والقرآن، والقراءات والحديث، وفي الفقه وأصوله، ومسائل في الحلال والحرام والعبادات والأخلاق والمعاملات والعلاقات، ومسائل في اللغة والنحو... إلّا أنّ التركيز كان كبيراً على جانب العقيدة؛ لأنّها الأصل في تثبيت الإيمان. وقد تناول مسائل العقيدة: تأصيلها، وتصحيحها لبعض المفهومات، وردّ

(١) مع العلم أنّ للشيخ مراسلات مع جهات من العالم الإسلامي، غير عمان ومع تلاميذه وعلماء وادي ميزاب، وبعض الشخصيات الأخرى... إلى جانب تأليفه التي تعدت المائة مؤلف.
(٢) كشف الكرب ج ٢، ص: ١٧.

بعض الشبهات، وتوضيحا لرأي الإباضية في هذا الجانب الأساسي في الدين، وبياناً
لجانب تفرّد الإباضية ببعض النظرات والآراء، التي أساء بعض الناس فهمها؛ ولذا
رمّوهم بعبارات الكفر والمروق والتطرف والابتداع...

إلى جانب كلّ ذلك نجد في هذه الرسائل نقطا أخرى كالحديث عن تبادل
الكتب بين عمان والجزائر، وطلب الانتفاع بها، ثم إرجاعها من حيث أرسلت،
وكسجّل طلبات النسخ والاستنساخ، ومناقشة مسائل، وتداول الأسئلة
والأجوبة، والسؤال عن الأحوال الشخصية وتبادل بعض المنافع الدنيوية، وطلب
التأليف في بعض الموضوعات...

وقد لفت نظري كثرة الأسئلة التي وردت على القطب من عمان، للسؤال
والاستفتاء في الدين، أسئلة من المشائخ والطلبة وعامة الناس. وقد سجّلنا في هذه
الرسائل الاعتماد الكبير على الشيخ طفيش في التأليف وحلّ المسائل، وفي التعلّم،
والحرص على اقتناء مؤلفاته، وكأنه كان الوحيد في الميدان.

كما قلنا سابقا كان الذين راسلهم الشيخ طفيش كثيرين جدّا، أذكر بعضا
منهم هنا : السلطان فيصل بن تركي بن سعيد، السلطان برغش بن سعيد، الشيخ
سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي، الشيخ راشد بن عزيز بن بجيت الخنيسي، الشيخ
عبدالله بن حميد السالمي، والشاعر محمد بن شيخان السالمي، الشيخ عيسى بن صالح
بن علي الحارثي المحبوبي، الشيخ علي بن حميس بن راشد القصاب، الشيخ عامر بن
حميس بن مسعود، الرئيس المعتمد بن سالمين سعيد بن محمد، الشيخ سالم بن محمد
بن سالم الرواحي الشيخ عبدالله بن راشد بن صالح، الشيخ يحيى بن خلفان بن أبي
نبهان الخروصي، الشيخ ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، الشيخ محمد بن سعيد
بن علي الصقري، الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي، محمد بن سعيد بن حمد بن
سعيد المعولي، محمد بن علي بن سالم بن عمر الهلالي المقرشي، سليمان بن ناصر بن

سليمان اللّمكي، عبدالله بن راشد ابن صالح الهاشمي، فيصل بن حمود بن عزّان، محمد بن سعيد بن عبيد المطبوعي، عبدالله بن علي بن محمد المنذري، محمد بن سليمان ابن سالم الغاري، محمد بن سلطان بن قاسم...

على الباحث أن يتصوّر الجهد الكبير الذي كان يبذله الشيخ طفّيش في المراسلة من خلال تصفّح قائمة الذين كان يرأسهم، ويتأمّل النفس الطويل الذي كان يملكه للإجابة عن الرّسائل، التي كانت تصله من عمان. وعلى الدّارس أن يقف على العلم الغزير والفوائد الجمة التي تحويها هذه الرّسائل. ومن ثمّ يعرف لماذا ذاع صيت الشيخ، ولماذا تعلّق به العمانيون كثيرا. ومن كلّ ذلك بقدر حقيقة شخصيّة الحاج محمد طفّيش العلميّة، ودوره في الرّبط بين إباضيّة المشرق والمغرب. وأخيرا يأخذ الدّارس من هذا دروسا وعبرا لكيفية تسخير العالم علمه في خدمة أمته، ودينه، وتعميم ذلك لأبناء الإسلام قاطبة.

هذه الآن نماذج من هذه الرّسائل :

كان الشيخ طفّيش يجيب السّلطان فيصل بن تركي عن أسئلة لغويّة ونحويّة ودينيّة. ثبتت هذه الرّسالة مثلا على ذلك : " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم، أمّا بعد، فسلام من كاتبه عبد ربّه محمد بن يوسف على السّلطان المحترم المشهور، والبرهان المكرّم المنصور، فيصل بن تركي بن سعيد أبقاء الله وو... للعدل، ووقاه الله وخلقه للسّبل، سبل الخير والرّافة، سألتني عن إعراب قوله : مستبيح سيف عينيه المحارم... وسألتني عن سعيد عند الله يقبر في مقبرة المشركين لأنّه مشرك في الظّاهر.. وسألتني عمّن أخذ عنه أصل بالشّفة وقد استغلّ منه... " (١)

(١) ينظر كشف الكرب ج ١، ص ٢٥٤، ٢٢٣. وإن كنت قد اعتمدت النسخة المخطوطة في نقل هذا النصّ.

" بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،
أما بعد : فسلام من كاتبه محمد بن يوسف اطفيش على أصحابنا من أهل عمان
العلماء والتلاميذ والرؤساء والعباد، وخصوصا الشيخ عبدالله بن حميد والشيخ
عيسى بن صالح: قائلا : جاءتني أسئلة منكم، وأردت إجابتها على شرط أن لا
تكون بينكم فتنة، فعاملوني بما لا تكون فيه ... " (١)

" بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما، أما بعد : فسلام على الشيخ محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي وأبيه
الأجل الشيخ أحمد بن سعيد، والأخ علي ابن يوسف، قائلا: وأفادني سؤالك في
حال اضطراب أهل البلد عليّ، وعدم الانقياد للحق، أعاني الله عليهم وعلى أهل
الشرك. "

" بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. أما
بعد : فسلام من كاتبه لتسع مضي من رمضان عام ١٣٢٥ هـ، محمد بن الحاج
يوسف وسائر تلاميذه وإخوانه في الدين على العالم العامل عبدالله بن حميد، أعانه
الله على مراده، قائلا : اعلم أنّي قد نشرت تأليفك كلّها، وأمرت بمطالعتها والعمل
بما فيها، ولا يشكل شيء إلا بينته لهم، حتى يفهموه بفضل الله وينقادوا، ويدركوه
على قصدك من الوجه الحق، وسلام على تلاميذك كلّهم، ومنّي لك، وأخصّ أكبر
تلاميذك، وإني مريد لنفعكم - لو كان لي مالٌ - بمالي وبكثي في كل فن، إلا أن
النسخ هنا بأجرة غالية، ومثل شرحك القصيدة، أو مثل الشيخ درويش بن جمعة
المحروقي أو النبل ست عشرة ريالاً كبيرة فواتح في كلّ واحدة، والناس لا يعينوني
في ذلك، ولا في مثله في إيقاف الكتب، وإني أعالج ما تيسر لي في الأرسال. يأتيكم
إن شاء الله مختصر القواعد والحاشية بزيادات مفيدة كبيرة جدّاً على الذي عندك -

(١) م. س. ص : ٥٣، ٥٤ .

رحمك الله ﷺ - في الفقه وشرح شرح أبي سليمان داود في النحو وغير ذلك شيئا فشيئا إن شاء الله ﷻ . أما الجواب فلو وجدت سؤالك كل يوم لأجبتك لترداد علما إلى علمك، وأقول (ربّ زدني علما)، ولا أظنّ أنّي أثقل عليّ شيء من نفعلك، وإن كان منكم سؤال ولم يأتكم جوابه، فلنسياني لكثرة الأشغال والأعداد، وقد عزمت على أنّه إن جاءني سؤالكم أعجلّ بجوابه، وأيضا أظنّ أنّ الجواب يضيع في الطريق، وقد عطّل البعد كثيرا من الأشياء، ولكم الدّعاء الصّالح منّي، ولعلّه يظهر لك ثمرته وآمرك وإيائي بالإخلاص لله ﷻ والتوبة... " (١)

" بسم الله الرحمن الرحيم والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم، حيّا الله الرحمن الشيخ محمد بن شيخان الكاتب الشّاعر، منهل الفقه للوارد والصّادر، من كاتبه امحمد بن الحاج يوسف طفيش، قائلا : بلغني كتابك المورّخ شعبان ١٣١٧ هـ في أواخر ربيع الثاني سنة ١٣١٨ هـ، فليس تأخير الجواب تفريطا منّي، ومع ذلك يا أخي لو علمت ما بي من الأشغال وفتن الأعداء لعذرتني، ولما وصلني همّي ما ذكرت جدّا، وأختار لك أن تتمهل، وآمرك بالصّبر ولو قلّ صبري، فإنّ عاقبته محمودة، ولأنّ يسمع الإنسان الإنسان أسلم له من أن يقول، ومن علم معاني الحروف ومصادر الأفعال وموازين الأسماء والنحو واللّغة، ومارس الفقه بالتّعلم، جاز له الإفتاء، بما في الكتاب بترجيح، وإن لم يقدر على الترجيح رجّح له قادر عليه، وجاز له الإفتاء للإنسان مطلقا بما حفظه من ثقة... " (٢)

من هذه النّماذج التي تعمّدنا الإطالة فيها يمكن للقارئ أن يقف على الملاحظات التي تتميّز بها رسائل الشيخ اطفيش إلى أهل عمان، والتي أشرنا إليها آنفا. وهي الملاحظات التي تجعل دراستها ذات أهميّة كبيرة من النّاحية العلميّة

(١) م. م.، ص : ٥ ، ٦ .

(٢) م. م.، ص : ٨٦ .

والتاريخية والفكرية، ومن حيث دراسة شخصية الشيخ اطفيش، عسى الله أن يقيض من يقوم بهذه المهمة.

نشير في ختام الحديث عن موضوع تبادل الرسائل بين المشرق والمغرب إلى بعض ما لفت نظرنا في هذا العمل الكبير، الذي يجب أن يقدر حق قدره، وهو هذا التآزر والتعاون في حلّ المسائل، ونشر العلم، والتثقف والتثقيف، وفي الاستشارة والاستئناس في مسائل العلم بعلم الآخرين؛ رغم التبحر في العلم، والتفوق فيه... والحرص على ذلك؛ رغم بعد المسافة، وصعوبة الاتصال، ثم الرغبة في التواصل وربط صلة المحبة بين المشرق والمغرب، رغم الحوائل والعقبات والمعوقات. إلى جانب الإلحاح الكبير على اقتناء الكتب، والتزود من العلم، ومحاولة توحيد الرؤية في المسائل المستحقة وتأصيلها، والرجوع إلى الأصول في الإفتاء، وتقرير الأحكام، والحرص على تجنب الاختلاف، واحتواء النشء بالرعاية والتعليم والتلقين والتعريف بالمذهب الإباضي حتى يضمن السير في طريق السلف، وهذا جانب تربوي مهم يجب التنبه له.

* صحافة أبي اليقظان وعمان

من بين ما يبرز التواصل الثقافي بين عمان والجزائر ما نقرؤه في صفحات جرائد الشيخ إبراهيم بن عيسى أبي اليقظان : نقرأ فيها أنباء وشذرات عن عمان في الجوانب المتعددة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية. إلى جانب أخبار عن التولية والعزل والتهاني والتعازي، والوفاة والإصابات وأخبار الفتن والاضطرابات، والمعارضات وما حلّ بعمان من نكبات ومصائب... كما تضمنت شذرات عن تصحيح بعض المفهومات والردود، وأخبار العلماء : راحتهم ومرضهم، تنقلاتهم وأتصالاتهم وجلساتهم. حتى أنباء الأمطار والسيول، وما كان يطرأ على بلاد عمان من طوارئ كان لها حضور في هذه الصحافة. وكانت تهتم بأخبار السلطنة والإمامة على السواء.

تأيد على احتفاء الصحافة اليقظانية ببلاد عمان كثرة ما نشرت عنها من مقالات في مختلف المجالات. فمن خلال بعض العناوين التي سنذكرها تتكشف لنا الروح التي يحملها الإخوان في الجزائر نحو عمان. مثلاً نقرأ في جريدة وادي ميزاب العناوين الآتية: " تحت هذا العنوان : أحد البلاد العربية التي لا يعرفها المصريون " كتبت الجريدة تقول : نشر " البلاغ الأسبوعي " بحثاً مصوراً، فأخذنا بتلاوته بشوق ولهفة، فلما أتينا عليه أسفنا أسفاً شديداً. ^(١) وفي عدد آخر نجد مقالا تضمن أخباراً عن فرح أهل عمان بزول الأمطار، وتدقق السيول عنوانه " استسقاء إمام عمان بعد طلوع الشمس وسيل الأودية بعد غروبها، نقلاً عن جريدة الشورى المصرية. " ^(٢)

(١) جريدة وادي ميزاب (أبو اليقظان)، ع : ٢٢، يوم ١٤ مارس ١٩٢٧ م.
(٢) سليمان باشا الباروني رئيس وزراء عمان، جريدة وادي ميزاب. ع : ٣٢ يوم ٢٠ / ٥ / ١٩٢٧ م. ينظر أيضاً ع : ٥٨، يوم ٢٥ / ١١ / ١٩٢٧ م.

كما نشرت جريدة النور مقالات عن عمان، منها : " حديث طريف عن بلاد مسقط، الحركة التجارية، النهضة العلمية والاقتصادية " ^(١) و " عمان، أنباء طريفة عن بلاد عمان لشاهد عيان " ^(٢)، وماذا في الخليج " ^(٣).

كما كان العمانيون ينشرون في صحافة أبي اليقظان. نشير إلى بعض القصائد والمقالات فيما يأتي: " تهنة صاحب الدولة الشيخ الباروني " قصيدة للشيخ عيسى بن صالح الطائي قاضي قضاة مسقط " ^(٤)، " تهنة أخرى لسعادة الباروني باشا " للشاعر سالم سليمان ^(٥)، " ربّ أيد إمامنا العدل وانصر " للشيخ أبي سلام الكندي ^(٦)، " قصيدة وطنية عن فلسطين " للشاعر محمد بن راشد بن غسان المعولي العماني . ^(٧)

إنّ كلّ ذلك لا يدّل إلّا على شيء واحد، هو الرغبة في توطيد العلاقة الروحية بين أبناء المغربين أو المشرقين. والإلحاح على الاستمرار في التواصل الثقافي مهما تكن الظروف والأحوال.

نذكر هنا أنّ الصحافة اليقظانية كانت تنقل كثيرا من أخبارها عن الصحافة المشرقية، أمثال: الشورى، الفتح، الشباب، لسان الشعب، المنهاج، الفلق الزنجبارية... كما كان لها مكاتبون في مسقط بخاصة، يفيدونها ببعض هذه الأنباء . ^(٨)

(١) جريدة النور (أبو اليقظان)، ع : ٣٧، يوم ١٤ / ٦ / ١٩٣٢ م.

(٢) م. م. ص. ع : ٣٨، يوم ٢١ / ٦ / ١٩٣٢ م.

(٣) م. م. ص. ع : ٧٣، يوم ٢١ / ٣ / ١٩٣٣ م.

(٤) جريدة وادي ميزاب، ع : ٩، يوم ٢٦ / ١١ / ١٩٢٦ م.

(٥) م. م. ص. ع : ١١، يوم ١٠ / ١٢ / ١٩٢٦ م.

(٦) م. م. ص. ع : ١٩، يوم ١١ / ٢ / ١٩٢٧ م.

(٧) جريدة الأمة، ع : ١٤١، يوم ٢٦ / ١٠ / ١٩٣٧ م.

(٨) تعمّنا في توضيح علاقة الصحافة اليقظانية بعمان إيراد نصوص كثيرة، والإطالة في بعضها الآخر لتزويد القارئ واطلاعه على مجموعة كثيرة من هذه النصوص، لتعزّز حصوله عليها، وللكشف عن طبيعة التواصل الثقافي بين عمان والجزائر، وعن نوعية العلاقة التي تربط بينهما.

أ - أخبار السلطنة والإمامة في الصحافة اليقظانية

حفلت الصحافة اليقظانية بأخبار كثيرة عن السلطنة والإمامة بشكل لافت للنظر، ومن خلال ذلك يمكن للباحث أن يلحظ التطور الحاصل في الحياة العامة في بلاد عمان. ومن الفقرات المنشورة في هذه الصفحات ننقل ما يأتي : " الأمير حمد بن فيصل والي صحار يزور دبي" ^(١). دبي في جمادى الثانية لمراسل الشورى الخاص : " أثبت لكم عن قدوم سمو الأمير حمد بن فيصل والي صحار وأخي السلطان تيمور، سلطان مسقط مُمجلاً، وهنا أقول : تشرفت دبي بقدوم الأمير المذكور صبيحة يوم الخميس (١٩ نلت من الماضي) فقول بالحفاوة اللائقة بسموه من إطلاق المدافع وعروض الخيل والإبل... وكلن مع الضيف الكريم أخوه مالك بن فيصل وابن عمه السيد سيف بن عرب البوسعيدي وابنه قحطان، وما ينوف عن ١٧٠ رجلاً حاشية وجنداً وغيرهم... " بقية المقال كان وصفاً للأيام السبعة التي قضاها الأمير في دبي مكرماً معززاً.

وفي العدد نفسه تنقل الجريدة عن مجلة المنهاج لأبي إسحاق طفيش قصيدة للشاعر الشيخ أبي سلام الكندي تحت عنوان " ربّ آيد إمامنا العدل وانصر " جاء في الديباجة " لما طرق سمع شاعر عمان الشيخ أبي سلام الكندي، وهو في قرية بشر (كذا) خير تقليد إمام المسلمين المعظم بعمان (محمد بن عبدالله الخليلي) أعزه الله رئاسة الحكومة لحضرة الهمام الغيور الشيخ سليمان باشا الباروني (تحركت قريحته الوقادة، وارتجل هذه القصيدة. قال :

قم سليمان في صلاح البلاد

لا تبال بقول أهل الفساد

(١) جريدة وادي ميزاب، ع : ١٩، يوم : ١١ / ٢ / ١٩٢٧ م.

إنما أنت عالم كيف أضحت
أمم الغرب تزدري بالعباد
هي بالعجز أم بجهل بنيتها
نالت المجد أم سمت بالرقاد
لا ولكنها تدكّ بعلم
كلّ صرح بدا بغير عماد
فابذل النفس والتفيس وشمر
واصرف الجهد من صميم الفؤاد
ربّ أيد إمامنا العدل وانصر
وأجره من كيد كلّ معاد
ذاك قطب الهدى الخليلي من قد
نشر العدل والهدى في العباد

ومن أنباء عمان ^(١) "بلغنا من بعض المصادر الوثيقة أنه وقعت معارضة من بعض رجال الدين على حركة الإصلاح، التي قام بها المصلحون الأحرار من العمانيين، وعلى رأسهم عظمة الإمام الخليلي، ووزيره الأكبر الشيخ سليمان باشا الباروني، إلى أن كادت تذهب زوابعها بأعمال أولئك الأحرار المفكرين أدراج الرياح، ولكن قد توفّق أخيراً لتوحيد جهود المصلحين بعض المفكرين منهم إلى تأليف حزب قويّ باسم حزب الإصلاح والتقدم، وقد انضوى تحت لوائه سائر عظماء عمان المصلحين..."

أمّا الأمن العام في عمان، فهو ضارب أطنا به بفضل التدابير التي اتخذها عظمة الإمام الخليلي وجلالة السلطان.

(١) م. م، ع : ٥٥، يوم : ٣ / ١١ / ١٩٢٧ م.

أما عن مسألة الطيران وقد ذكرنا سابقاً أن حكومة مسقط قد وافقت الإنكليز على جعل محطات الطائرات بسواحلها، ولكن في داخل حدودها فقط، إذ لا يحيد لها من المحافظة على الصداقة بينها وبين الدولة الإنكليزية... "

وفي عدد آخر خير سفر وليّ العهد إلى العراق^(١) " توجه وليّ العهد صاحب السموّ السيّد سعيد بن تيمور إلى العراق للدخول في كليتها بعد أن كان ملازماً لمدارس الهند، وهي خطوة تدلّ على تيقّظ ونجاح إن شاء الله.

أما عظمة السلطان تيمور، فلا يزال في ولاية ظفار المجاورة لحضرموت، واقفا بنفسه على ما عزم على إجرائه فيها من العمران، ويمكن أن يعود في شهر رجب. "

وفي عدد آخر^(٢) خير عن بعض المشاغبات التي حدثت من بعض المعارضين، وعن إحماد الحكّام لنار الفتنة وحركة المناوئين : " إنّ الحالة بدواخل عمان طيبة، وسعادة الشيخ سليمان الباروني جار بنشاط فيما هو بصدد... أما حركة المعارضين فقد خفّت وطأماً، واتّسع الفضاء لإجراء الإصلاحات اللازمة للبلاد.

أما حكومة جلالة السلطان فهي في راحة وسكون، غير أنّه ثارت في أطراف صحار بعض القبائل، وشقّت عصا الطاعة، وقصدها بذلك إرغام الحكومة إلى إعادة عوائدهم السابقة لهم، وقد قطعت مؤخراً وإلى الآن لم تنته مسألتهم.

كما ورد في العدد نفسه خير عزم الحكومة إنشاء مدرسة لترشيح المعلمين بالعاصمة مسقط. وفيه نبأ عن مرض نصير الإصلاح والتقدّم الشيخ سعيد بن ناصر الكندي، وتماّم شفاؤه، وقد توفي سنة ١٣٥٥ هـ. وفي العدد أخبار أخرى عن عمان.

(١) م. م. م. ع : ٥٨، يوم ٢٥ / ١١ / ١٩٢٧ م.

(٢) م. م. م. ع : ٦٤، يوم ١ / ٦ / ١٩٢٨ م.

ومن تمام اهتمام الصحافة البقظانية بحياة السلطان تيمور بن فيصل نجدها في عدد من أعدادها^(١) تذكر بعض الجزئيات في حياته : - سلطان مسقط (السلطان في الغواصة) - حديث سلطان مسقط عن بلاد الشرق - إشارة إلى مقالة لسلطان مسقط عنوانها " زوجاتنا وزوجاتكم " نشرها في جريدة صنداي اكسپرس الإنكليزية.

إن الصحافة البقظانية تتابع باهتمام كبير التطورات التي تحدث في عمان، وبخاصة أبناء الإصلاحات التي تقوم بها السلطنة والإمامة، وتنشر الكثير منها في صفحاتها لإطلاع القراء في المغرب الإسلامي عليها.

جاء في أحد أعداد جريدة وادي ميزاب تحت عنوان : النهضة العمانية الحديثة^(٢) : " هبَّ الشعب العماني في جملة الشعوب العربية الشقيقة في هذه السنوات الأخيرة إلى الإصلاح والتهوض، وإدخال النظم العصرية الجديدة، التي لا تخرج عن دائرة الإسلام إلى داخل البلاد، وقد أنبأنا في وقته عما قامت به وتقوم به حكومة عظمة الإمام الخليلي من الإصلاحات العامة بتدابير وزيرها الأكبر الشيخ سليمان الباروني، ولا ننسى ما أزمعت عليه حكومة مسقط من إدخال كثير من الإصلاحات في بلادها. فقد أنبأت بعض جرائد الشرق الحرة فيما أنبأت أن لجلالة السلطان اهتماما خاصا بتوفير بلاده بشموس العلوم والمعارف، فأرسل بنجله وولي عهده الأمير سعيد إلى العراق، لاغتراف مناهل العلم من مدارس بغداد."

كما تحدّث المراسل عن الحفلة التي أقيمت بمناسبة افتتاح المدرسة السلطانية وخطبة جلالة السلطان، وخطبة الشيخ عيسى بن صالح الطائي، تضمنت المراسلة أيضا أنباء أخرى عن السلطان، وخبرا عن وفاة الشيخ عامر بن حميس المالكي، التي كانت يوم الخميس من رمضان ١٣٤٦ هـ .

(١) م. م. ع : ١٠٥، يوم : ١٩ / ١٠ / ١٩٢٨ م.

(٢) م. م. ع : ٧٩، يوم : ٢٠ / ٤ / ١٩٢٨ م. هذه الأنباء كانت تصل من مكاتب وادي ميزاب.

أما جريدة النور فأوردت تفاصيل عن تنازل سلطان مسقط عن العرش واعتلاء ولي العهد له ^(١) في ٦ من رجب ١٣٥٠ هـ. " أمضى عظمة السلطان تيمور بن فيصل سلطان مسقط وعمان صكّ تنازله عن السلطنة لولده، ولي العهد صاحب السمو الأمير سعيد. الأمر الذي كان يسعى عظمة السلطان لتحقيقه من عدة سنوات خلت، بسبب اعتلال صحته، ومثل هذا الحادث يجري لأول مرة في تاريخ البلاد العمانية، إذ لم يسبق أن تنازل سلطان عن السلطنة لأحد في حياته بهذا الهدوء والطمأنينة، وهذا ما يجعلنا نتفاعل بعصر سعيد لهذه البلاد في زمن عظمة السلطان الجديد " ثم تحدّثت الجريدة عن مراسيم الاحتفال، وعن صكّ التنازل واعتلاء الأريكة. وختمت المراسلة بذكر صفة السلطان سعيد : " وصاحب العظمة السلطان سعيد الثاني بن تيمور، لا يتعدى الثالثة والعشرين من عمره المبارك، وهو مع ذلك له حنكة الشيوخ، ودراية المحرّبين، وقد تلقى عظمتة علومه في الهند والعراق، وهو يتقن زيادة على لغته العربية اللغة الإنكليزية والأوردية، ولعظمتة ولع كبير بتنظيم شؤون الدولة والاهتمام بكل صغيرة والعناية بتقدّم البلاد، منذ كان رئيساً للوزراء، وإنّا لنرجو أن يكون عصر عظمتة هو العصر الذهبي."

متابعة لتطوّر النهضة في عمان كتبت جريدة الأمة تحت عنوان " ماذا بعمان؟ بعثة علمية ترسلها حكومة مسقط للدراسة في العراق " ^(٢) " وصلت إلى بغداد في الشهر الجاري بعثة حكومة مسقط للدراسة، وهي مؤلفة من خمسة طلاب : الأمير فخر بن تيمور والأمير ثويني بن شهاب، وأحمد محمد الجمالي، وعبدالله محمد الصالح الطيواني ومغيظ (كذا)، وقد صحبها من مسقط الأستاذ إسماعيل حقي الرصاصي، رئيس المحكمة العدلية، والشيخ أحمد بن سعيد الكندي.

(١) جريدة النور (أبو اليقظان)، ع : ٢٧، يوم ٢٩ / ٣ / ١٩٣٢ م.

(٢) جريدة الأمة (أبو اليقظان)، ع : ١٤٨، يوم : ٢٨ / ١٢ / ١٩٣٧ م . نقلا عن جريدة الفلق الزنجبارية .

وحَبَّذا لو اقتدى الإمام الخليلي بحكومة مسقط في هذا العمل النبيل... " وفي العدد
أخبار عن مسقط وعمان.

وفي عدد آخر من جريدة الأمة وتحت عنوان "ماذا في عمان ؟" ^(١) " تستمر
الجريدة في الحديث عن تطورات الأحداث والحياة في عمان.

" أما حكومة جلالة السلطان فهي تأخذ تدريجياً بأهداب المدنية العصرية،
ويوجد لها دوائر للمالية وللشريعة وللعدلية، وتوجد في العاصمة مدرسة على
الطراز الحديث. وقد أخذت الحكومة تشق الطرق وتعبدها لتسيير السيارات، إلّا
أنّ بعض رؤوس الجمود، اعترضوا ذلك وأبوا أن يروا مثل هذا التنوع من
المواصلات العصرية السريعة تجوس خلال ديارهم واختاروا عنها ظهور الإبل،
فأقنعتهم الحكومة باللغة التي يفهمونها بما بوجود العدول عن هذا الهوس، فأخلدوا
للسكون.

أما جلالة السلطان فلا يزال في لندرة — كما علمتم ذلك من إذاعة الراديو —
وهو في صدد إبرام معاهدة تجارية اقتصادية بينه وبين بريطانيا العظمى.

أما عظمة الإمام الخليلي فهو بزوى، قلب الداخلية ينعم بالصحة، ويرفل في
ثوب النصر، ويتمتع بالعزة والهناء بعد أن اضطرب حبل الأمن قليلاً في الداخلية
بهذه الأيام. وذلك أنه ثار عليه رئيس قبيلة العبريين العالم الشيخ إبراهيم العبري، لا
لسبب مبرّر ولا موجب للخلاف، ولكن نزوعاً للفتنة، وميلاً لمطامع نفسانية
ومقاصد شيطانية، واعتزاز بسواد قبيلته... أعز الله الإمام وأيده على نصرة الحق،
وإحماد أنفاس الباطل وتحطيم أصنام الجمود. " وفي العدد خير عن حالة الجفاف
والمحل اللذين أصابا عمان. وآخر عن وصول جريدة الأمة باستمرار إلى البلاد
العمانية، ثم تعريض بالجمود الذي ضرب أطنابه في عمان.

(١) م. س، ع : ١٦٨، يوم ٢٤ / ٥ / ١٩٣٨ م لرمل بهذه الأخبار مراسل الأمة بمسقط .

إنَّ ما سردناه من نصوص، وما عرضناه من الشذرات التي نقلناها من صحافة أبي اليقظان عن أخبار السلطنة والإمامة على السواء، تكشف عن الرِّباط المتين القوي، الذي يربط الجزائر بعمان، وفي الوقت نفسه تدلُّ على الرؤية الوجدانية، التي كانت تنظر بها الصحافة اليقظانية إلى ما يحدث في عمان، وما يعتمل بداخله، لأنها كانت تمنى أن يكون عمان وحدة متماسكة، وبخاصة على مستوى العلماء والحكَّام، الذين هم قدوة الأمة وقادتها.

إنَّ تعامل الصحافة اليقظانية إعلامياً مع أبناء عمان بهذه الطريقة له دلالة العميقة، ومغايه الكبيرة، وكانت له انعكاساته الإيجابية في نفوس أبناء المغرب الإسلامي، الذين كانوا يقرؤون هذه الصحافة، أو يتعاملون معها بالمستوى أو بالوجهة التي تخدم الوحدة والتآلف.

وفي غياب هذا التعامل مع الخير الإعلامي، وانعدام هذه الرؤية إلى الأحداث، قد تكون النظرة إلى عمان غير التي نشهدها اليوم، وقد كان يمكن أن تثمر العلاقة مع عمان ثماراً، لا تخدم الأهداف المرجوة، ولا تساعد على هذا التواصل الثقافي الذي لا يفتأ يتطور ويتدعم مع مرَّ الأيام.

كما أنَّ النصوص التي سردناها تعدُّ وثائق تاريخية، أو على الأقلَّ إشارات إلى تاريخ عمان بتفاعلاته وتطورات الإيجابية والسلبية، وقد كانت هذه النصوص التي تنقلها الصحافة اليقظانية من الجرائد المشرقية، أو ما يفيدها به مكاتبها... النافذة التي يُطلُّ بها قراءها على عمان، الذين يتطلعون دائماً لمعرفة ما يدور فيها ويحدث.

ب - أخبار سليمان الباروني الوزير في الصحافة اليقظانية

اهتمت الصحافة اليقظانية بأخبار الشيخ سليمان الباروني باشا (ت ١٩٤٠)، الذي قلَّد منصب وزير الدولة في حكومة الإمام محمد بن عبد الله الخليفي. تابعت

الأنباء الواردة عنه، وسجّلت ونشرت بعض التهاني التي تلقّاها - شعرا ونثرا - بمناسبة تقليده الوزارة، نقلت بعض أنشطته في عمان، وبعض إنجازاته هناك.

كُتبت جريدة وادي ميزاب تحت عنوان : " سليمان باشا الباروني يعيّن وزيرا لمملكة عمان، تطوّر عظيم بعمان " ^(١) جاء في آخر المقال: " ولسان القطر الجزائري عموما ووادي ميزاب خصوصا، يرفع (وادي ميزاب) على كاهل التبحيل والاحترام إلى عظمة الإمام وعطوفة الشيخ الباروني وبلاد عمان مراسم التهاني الفائقة بهذا التطور العظيم، ويرجو لهم من الله تعالى التوفيق والتسديد إلى أن يبلغوا بالعرب والبلاد العربية قمة المجد والفخار، حتى ترفل في حلل الجلال والكمال. " ^(٢) كما نظم الشيخ عيسى بن صالح الطائي قاضي قضاة مسقط قصيدة هنا فيها سليمان الباروني بتقليده وزارة مملكة عمان : من بين ما ورد فيها :

أقومي إنّ للعليا رجـالا	لهم في نيلها رأى وفكر
لها نحروا الكرى بنصال عزم	وفي وثباتها قصد وكـر
إذا ليل الغباوة مذ سـجفا	جلاه منهم علم وخـبر

(١) جريدة وادي ميزاب، ع : ٤، يوم : ٢٢ / ١٠ / ١٩٢٦ م .

(٢) م، من، ن .

فكم ظلمات جهل قد محوها كما يحى من الأسفار سطر
 سليمان أقم للدين صرحا لقد أودى به طمع مضر
 وجدّد عهد من سلفوا ملوكا أنمتنا، لهم شأن وذكر
 تخيرك الإمام العدل فاخدم رضاه، وأثبتنّ فلأنت بدر
 ولا تحجم إذا استعصى جهول تساوى عنده زيف وتبر
 فطعم الماء في الأفواه عذب وفي فم من به الأسقام مر
 فهذا القطر قم فيه عزيزا يحفك من إله العرش نصر^(١)

وفي عددي ١٩ و ٥٧ من جريدة وادي ميزاب أخبار عن أعمال الشيخ الباروني باشا ونشاطه، وعن حالته الصحيّة، وما أصيب به من الفالج "حتى تدورك بالعلاج المعروف عندهم لهذا الداء، ولازم محلاً واحداً في الحصن محفوظاً عن الهواء إلى أن شفي شفاء تاماً، بعد نحو عشرين يوماً".^(٢)

من بين النصوص التي نشرت في الصحافة اليقظانية "سعادة الباروني باشا في جرائد مصر"^(٣) "وفي شرق بلاد العرب وزارة سليمان باشا الباروني في عمان"^(٤) و "كبير شعراء عمان يهنئ سعادة الشيخ الباروني للشاعر أحمد بن سلطان آل سليم"^(٥).

كما نشرت جريدة النور مقالا تحت عنوان "الباشا الباروني والإشاعة الكاذبة" ردّاً على ما راج من أخبار اعتزال الباروني للوزارة العمانيّة^(٦) إلى غير

-
- (١) م. م.، ع : ٩، يوم : ٢٦ / ١١ / ١٩٢٦ م. القصيدة مؤرخة بيوم ٣ من صفر ١٣٤٥ هـ .
 (٢) م. م.، ع : ٥٧، يوم : ١٧ / ١١ / ١٩٢٧ م.
 (٣) م. م.، ع : ١٣، يوم : ٢٥ / ١٢ / ١٩٢٦ م. نقلته جريدة وادي ميزاب عن مجلة الثوري في عندها: ١٠٨.
 (٤) م. م.، ع : ١٨، يوم : ٢٨ / ١ / ١٩٢٧ م. نقلته جريدة وادي ميزاب عن مجلة المنهاج لأبي إسحاق طقيش.
 (٥) م. م.، ع : ٢٤، يوم : ١٨ / ٣ / ١٩٢٧ م.
 (٦) م. م.، ع : جريدة النور، ع : ٢١، يوم : ١٩ / ٢ / ١٩٣٢ م. نقلت النور المقال عن جريدة الفلق الزنجباريّة.

ذلك من التصوص والأخبار، التي تناولت شخصية الباروني باشا الوزير في حكومة عظمة الإمام الخليلي.

متابعة أخبار تقليد الباروني باشا الوزارة العمانية، ونشر أنباء نشاطه بهذه الكثافة وهذا التفصيل يندرجان ضمن العلاقة الوطيدة التي تربط المشرق والمغرب. ويؤكدان في الوقت نفسه على الرغبة في تغذية هذه العلاقة وتنميتها.

وقد كانت مناسبة تولي الشيخ سليمان باشا مهمة الوزارة، وهو مغربي من ليبيا فرصة للتعبير عن الاعتزاز بهذه العلاقة الراسخة بين عمان والمغرب الإسلامي، ومناسبة لمد جسر التواصل بين الجهتين؛ فسليمان الباروني بطل، وشخصية تستحق هذا التكريم وهذا التشريف، إلى جانب ذلك فهو تلميذ قطب الأئمة الشيخ طفيش، الذي يكن له العمانيون كل التقدير والاحترام... فاخياره للوزارة يدل - من جملة ما يدل عليه - الحرص على تعزيز العلاقة بين عمان والمغرب الإسلامي، والاعتراف بفضل المغرب على عمان.^(١) ولهذا كانت عناية الصحافة اليقظانية بسليمان باشا الوزير المغربي في عمان عناية لها دلالتها، والحديث عنه حديث عن المشرق والمغرب على السواء.

هكذا نلاحظ الدور الكبير الذي قامت به الصحافة اليقظانية في ربط العلاقة الثقافية بين عمان والجزائر. والتحفيز على التواصل الثقافي؛ بنشر الأخبار عن عمان في المجالات المختلفة، حتى إنها كانت تنقل بعض التصوص والشذرات من الصحف المشرقية حرصا منها على عدم الانقطاع عن عمان، وإشباع رغبة قرائها في الاتصال بالشرق، وهي في الوقت نفسه فهي توجه دعوة ضمنية لدعم التواصل بين الجهتين.

(١) ومما يبين شدة العلاقة وممانتها بين المشرق والمغرب، ويؤكد حقيقة اعتراف عمان بفضل المغرب الإسلامي. ما يثبت ذلك تعيين الشيخ أبي إسحاق الجزائري (١٨٨٦ - ١٩٦٥ م) في الخمسينيات معنلا لعرض قضية عمان في الأمم المتحدة.

الخلاصة

إنّ التواصل الثقافي بين عمان والمغرب الإسلامي بعامة والجزائر بخاصة كان ذا أهمية كبيرة في مسيرة الفكر الإباضي على الخصوص. وقد ساعد ذلك على بروز هذا الفكر، وإثبات وجوده ضمن حركة الفكر الإسلامي بعامة ؛ رغم ما لقيه من مضايقات ومحاولات طمسه. وقد كشفت المظاهر التي تمّ بها هذا التعاون الثقافي الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية، التي عاشها الإباضية في المشرق والمغرب:

(١) لقد كان هذا التواصل الثقافي نتيجة التعاون الجاد والقوي، الذي حصل بين عمان والمغرب الإسلامي. ومظاهر هذا التعاون تمثلت في الزيارات المتبادلة، واللقاءات التي تتم بين أهل المشرق وأهل المغرب، وفي موسم الحج بخاصة. وفي تبادل الكتب والمراسلات في الاستفتاء والاستشارة، والتعاون في التأليف، وفي حسن الرعاية والعناية التي تلقاها الجهة التي يدب فيها الضعف والوهن، أو تشعر بالعجز عن القيام بنفسها وشؤونها ؛ فتستمدّ الطاقة المادية من الجهة الثانية، كما تسترشد منها الطاقة الروحية، التي تمكنها من الثبات والصمود في الميدان أمام الزوايع والزّعازع.

(٢) كلّ ذلك أثمر وحدة في المشاعر، ووحدة في التصوّر، ووحدة في الفكر بين الإباضية : المشاركة والمغاربة - إلّا ما شذّ وندر - وقد كانت لذلك نتائج المهمة في المحافظة على كيان المذهب الإباضي وبلورة آرائه.

(٣) حمل هذا التواصل الثقافي عصارة أفكار أئمة هذه الجماعة وعلمائها، ونقل سجلّ آلامها وآمالها، التي هي من جملة هموم الأمة الإسلامية واهتماماتها في إقامة الدين، والتمكين للإسلام في الأرض ومحاربة كلّ ما يمسّ وينال

الإسلام. كما أسهم هذا التواصل في إيجاد أرضية ملائمة تتحرك عليها جماعة من المسلمين ؛ لتعمل في سبيل خدمة الثقافة الإسلامية، بإبراز جانب من إسهامات الفكر الإسلامي، الذي كان قد يخسر جزءا منه، لو قُدِّرَ للفكر الإباضي أن لا ينتشر ؛ إذ أن الذي أعان على استمرار عطاء الإباضية والإنتاج هو هذا التعاون والتواصل الثقافي بين المشرق والمغرب.

(٤) إن العلاقات الثقافية بين إباضية المشرق والمغرب لم تنقطع أبدا، قد تضعف أحيانا، بسبب الظروف القاسية التي مرَّ بها الإباضية، لكن ما تفتأ أن تعود من جديد، وقد يبدو للدارس أن هناك انقطاعا في هذه العلاقات الثقافية، وذلك بسبب سكوت المصادر والمراجع عن ذكر هذه الصلات الثقافية. وهو من جملة ما أوجد ثغرات كثيرة في تاريخ الإباضية بعامة.

(٥) إن فضل عمان على المغرب الإسلامي كان كبيرا، وبخاصة في مرحلة النشأة ؛ وقد ظلَّ أهل المغرب في صلة تامة مع أهل المشرق : استفتاء واستشارة في الكبيرة والصغيرة، وتعلما وتكونا...

وكان أهل عمان قد تحمّلوا مسؤولية رعاية الدولة الرستمية ماديا ومعنويا، وتمكّنت بفضل ذلك من الوقوف على قدميها وبناء كيائها والإسهام بدورها في النشاط الثقافي والفكري. وقد استمرت هذه الرعاية حتى بعد سقوط الدولة الرستمية، وكان من نتائج ذلك ردّ أهل المغرب بعض الجميل. وقد كان لهم بعض الفضل على عمان في بعض الفترات، خاصة في العهد الأخير. هذا هو التواصل الثقافي.

باتنة يوم : ٥ من جمادى الأولى ١٤١٥ هـ
١٠ من أكتوبر ١٩٩٤ م

الملاحق

الملحق رقم : (١)

الشيخ عبد العزيز الثميني وصلته بعمان *

* تمهيد

الشيخ عبد العزيز الثميني (١١٣٠هـ - ١٢٢٣م) رحمه الله؛ أحد العلماء الأعلام، الذين كان لهم فضل التّجديد الفكري في إطار المذهب الإباضي، ومن ثمّ تعدّت جهوده في ذلك إلى الفكر الإسلامي، بصغة الفكر الإباضي أحد الرّوافد لهذا الفكر.

للشيخ عبد العزيز باع كبير في العلم، وبخاصّة في العلوم الشرعية، نبغ في العلم وهو صغير " أتاح له شيخه أبو يحيى المجال لكي يحلّ محله، ويقوم بالدور الكبير، لأنّه رأى فيه النّجاة، وشاهد فيه الذّكاء، وتوضّحت له عبقريته وألعيته. لذلك لا بدّ أن تكون له علاقات، وإن كانت غير مباشرة بجميع مناطق المذهب الإباضي^(١) من هذه المناطق بلاد عمان، التي كانت العلاقة بينها وبين المغرب الإسلامي قد بدأت مبكّرة، منذ القرن الثّاني الهجري، وما تزال متّصلة : .. وقد تعدّدت هذه العلاقات الثّقافية وتنوّعت، فمن رحلات علميّة، وتبادل للزيارات، قام بها علماء هذه البلدان، كلّ إلى بلد الآخر، ومن التّقاء لهم على أرض مكّة في موسم الحجّ، حيث يجتمع علماء الإباضيّة من المشرق والمغرب، يتبادلون الرّأي والمشورة، ومن

* شاركت بهذا العمل في الندوة الفكرية الوطنية حول الشيخ عبد العزيز الثميني،

بني يسجن (الجزائر)، ماي ١٩٩٩م

(١) الشيخ أحمد بن مسعود السّياي، مقابلة شخصيّة معه في منزله، روي (سلطنة عمان)،

يوم ٢: من صفر ١٤٢٠ هـ / ١٨ من ماي ١٩٩٩ م.

تبادل الكتب والمراجع العلميّة، ومن مناظرات علميّة، وطلب للفتوى فيما يستغلق عليهم فهمه من أمور الفقه والمذهب، إلى غير ذلك من الأمور التي أدّت إلى زيادة الروابط الفكرية والثقافية والعلمية بين الجانبين.^(١)

ولكون عمان هي الوطن الأوّل للمذهب الإباضي، وقاعدته الأولى التي انطلق منها ؛ فلا شك أن كلّ نتاج فكري إباضي يصل إليها، ويهتمّ به علماءها، كما أن نتاج علماء عمان يصل إلى المناطق الأخرى.

من جملة هذا النتاج ما أبدعته قريحة الشيخ عبد العزيز الثميني، فيكون البحث في علاقة عبد العزيز بعمان ضرورة ملحة؛ لمعرفة إحدى حلقات التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب، ولربط حلقات النشاط الثقافي والإبداع الفكري والنتاج العلمي بين إباضية المشرق والمغرب، وللإجابة عن كثير من الأسئلة، التي تعين على الوقوف على خصوصية هذا الفكر، ونوعية النشاط الذي قام به الأسلاف، ولتأصيل هذا الفكر وإنصافه...

لهذا لما وصلتني دعوة كريمة من الجمعية الثقافية القطبية ببني يزقن (الجزائر) للمشاركة بمحاضرة في الأيام الدراسية حول فكر الشيخ عبد العزيز الثميني، فرحت وتأسّفت! فرحت لأنّ هذه الدعوة ستكون لي دافعا آخر، يحثني على الاستمرار في بحثي الذي شرعت فيه منذ سنوات وهو: "التواصل الثقافي بين عمان والجزائر"، وتأسّفت لأنني أعرف أنني لن أتمكن من تقديم شيء جديد في الموضوع، أو إعداد ما يشفي الغليل، لأنّ البحث في موضوع : "علاقة الشيخ عبد العزيز الثميني بعمان" ليس سهلا. الشروع فيه مغامرة، تشبه مخاطرة السائر في مفازة، المعالم فيها

(١) الدكتور رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، مطابع النهضة، مسقط، سلطنة عمان، سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. ص : ١٤٨. ينظر كتابنا " التواصل الثقافي بين عمان والجزائر " (مخطوط) وهو البحث الذي بين دفتي هذا الكتاب .

غير واضحة، يُخافُ عليه التيه، وقد يضطر إلى التراجع عن المسرح لجهله كيف يكون المصير، وهو يعلم أنه مهما يَقلَّب بصره فقد ينقلب إليه خاسئا وهو حسير. مع ذلك استعنت بالله، وسألته العون والتوفيق، وقلت لابدَّ من بذل جهد لتقلم شيء أو عمل ولو كان يسيرا في هذا المجال، يكون نبراسا للأجيال.

قمت فأعددت الأسئلة الآتية، وعرضتها على مجموعة من المشايخ والأساتذة^(١):

- ١- كيف كانت علاقة الشيخ عبد العزيز الثميني بعمان ؟
 - ٢- كيف كانت مراسلاته إلى عمان ؟
 - ٣- أين توجد هذه الرسائل ؟
 - ٤- من عاصر من العلماء العمانيين ؟
 - ٥- كيف وصلت مؤلفاته إلى عمان ؟
 - ٦- ما هي مؤلفاته التي اعتنى بها العمانيون: نظما وشرحا واختصارا وتعليقا وتحيشة ؟
 - ٧- ما هي المؤلفات العمانية التي اعتنى بها الشيخ عبد العزيز الثميني : شرحا وتعليقا ونظما. ؟
 - ٨- هل التقى بشخصية عمانية ؟
 - ٩- ماهي المراجع العمانية التي تناولت حياة الشيخ عبد العزيز الثميني ؟
 - ١٠- كيف ينظر العمانيون إلى شخصيته ؟
 - ١١- ما هو تقييمكم لمؤلفاته وشخصيته ؟
- وقد كانت ردود أفعال المشايخ مختلفة : منهم من اعتذر - بتواضع كبير وبأدب جَمّ - وقال إنه لا يعرف إجابة واحدة عن هذه الأسئلة. ومنهم من قال : اعطني

(١) المشايخ والأساتذة هم : سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، الشيخ سعيد ابن حمد الحارثي، الشيخ سالم بن حمد الحارثي، الشيخ أحمد بن سعود المنيابي، الدكتور إبراهيم بن أحمد الكندي، الدكتور مبارك بن عبدالله الرشدي، وآخرون...

مهلة كافية للبحث في الموضوع. ومنهم من أرشدني إلى بعض المصادر والمراجع، وقدم لي المخطوط العريضة لتناول الموضوع، ومنهم من قدم إلي إجابات مستفيضة عن بعض الأسئلة، واعتذر عن الأخرى، وأفادني ببعض الاستنتاجات والتأويلات، وعرض بعض الإشكالات....

المهم إن الموضوع - قبل ذلك وبعده - يحتاج لإنجازه إلى جهد جهيد، وعزم شديد، وصبر من حديد، ووقت مديد، وفكر سديد، ونظر بعيد. عسى أن تسمح الظروف لتقدم شيء جديد، وتسخر الأيام بما يشفي الغليل، لإنصاف صاحب كتاب التيل وشفاء العليل.

أحاول - في الصفحات الآتية - تناول هذا الموضوع بما يسمح لي به الوقت، وما توفر لي من معلومات. وأشير إلى أن ما أقدمه لا يتعدى كونه تقريراً أولياً، يضع المخطوط العريضة لهذه العلاقة، ويقدم إشكالات، ويسجل ملاحظات عامة، تفتح المجال لبحث صلة الشيخ عبد العزيز الثميني بعمان. وسيتبع ذلك - إن شاء الله - بعمل أكثر شمولية واستقصاء.

* ملاحظات عامة

١- عاش الشيخ عبد العزيز الثميني عهداً، كان التعصب المذهبي قد بلغ ذروته، وكانت الانحيازات الفكرية واضحة، وأصبحت الحواجز المذهبية عوائق أمام انتقال الأفكار بين المذاهب الإسلامية. هذا ما ينتج نتيجة خطيرة وهي: إن العالم يبقى مسموعاً في محيط مذهبه، وفي مناطق متعددة، حيث يوجد ذلك المذهب.

المدرسة الإباضية عاشت هذه الوضعية. فقد تعرضت للتهميش، وموسر ضدها التحيز... فكان من ردود الأفعال المتولدة عن ذلك بحث أتباعه عن أي عالم أو مفكر منحد، يعرفهم بمذهبهم وأفكاره، ليمسكوا به، أي يسألون عن

المرجعية العلمية والفكرية التي تكون الملجأ والملاذ. هل كان الشيخ عبد العزيز
الشميني ممثلاً لهذه المرجعية؟

٢- عاش الشيخ عبد العزيز وعائش - في موطنه وادي ميزاب - عصر
التحجر الفكري، وفترة الفتن، ومظاهر الجهل. وعاش - جرّاء ذلك
- مغموراً، مهضوم الحق، بل مظلوماً... وظلّ مهمّشاً، أو على الأقلّ
مضطهداً في فكره.

٣- عاصر الشيخ عبد العزيز عصر الفتن في عمان، فترة نهاية دولة
اليعاربة، وانتقال الحكم إلى دولة البوسعيديين. والفتن التي حصلت
أتلّفت الكثير من الوثائق والرسائل، التي يمكن أن نجد فيها ما يكشف
عن علاقة الشيخ الشميني بعمان. وقد تُبينُ عن العطاء الفكري، والغناء
الثرائي. مثلاً أتلّفت مكتبة أبي نيهان، التي كانت تضمّ حوالي ثمانية
آلاف كتاب. ^(١)

٤- الشيخ عبد العزيز، نتيجة تعمّقه في مختلف المعارف، اشتهر بقوة
شخصيته، ومؤلفاته القيّمة. " فقد أمسك بزمام علوم الآلة، وبخاصّة
علوم العربية، فلذلك جاءت كتبه في صيغة متون مركّزة وقويّة، قويّة
العبرة وجزلة... " ^(٢)

٥- عاصر الشيخ عبد العزيز بعض علماء عمان، منهم أبو نيهان الشيخ
الرئيس، جاعد بن حميس الخروصي (١١٤٧هـ - ١٢٣٧م). وابنه
ناصر بن جاعد بن حميس الخروصي (١١٩٢هـ - ١٢٦٢م/١٧٩٨م)
هـ - ١٨٤٧م)، والشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي (ت

(١) الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مقابلة شخصية معه في مكتبته بجامعة السلطان قابوس، روي
(سلطنة عمان) يوم: ١ من صفر ١٤٢٠هـ / ١٧ ماي ١٩٩٩ م.

(٢) الشيخ أحمد بن سعود النيابي، مقابلة شخصية في منزله يوم: ١٦ ماي ١٩٩٩ م.

١٢٠٧هـ - ١٧٩٢م) صاحب كتاب التفسير الميسر للقرآن الكريم^(١)، وأستاذ الشيخ جاعد بن حميس الخروصي، والشيخ سعيد بن بشير الصبحي، والشيخ سالم بن سعيد بن علي الصائفي المنحجي (عاش في ق : ١٣هـ) والشيخ مهنا بن خلف أو خلفان بن محمد البوسعيدي (عاش في ق : ١٣هـ) صاحب كتاب: لباب الآثار، وغيرهم...

٦- يعدّ العمانيون الشيخ عبد العزيز الثميني عالماً من علماء المذهب الكبار، الذين يرجع إليهم فضل التجديد (في المذهب الإباضي) من ناحية المنهجية والأسلوب في الكتابة، وفي تناول القضايا. وله فضل تأصيل الفكر الإباضي، ويروونه من خيرة * من هضم التراث الإباضي العقدي منه والفقه، وصهره في بوتقة، بأسلوب رائق جميل، بمنهجية المن، فلذلك أقبلوا على كتبه من باب الحفظ، وهم طبعاً يجلّونها، ويعتبرونها مصادر ومراجع في الفكر الإباضي. وهم يجعلونه في مصافّ العلماء الكبار والأئمة المجتدين " * يحترمه العمانيون، ويعدّونه مجدداً للدين. " (٢)

هذه الملاحظات تبين قوّة شخصيّة الشيخ عبد العزيز الثميني، وقدرته الفكرية، وتؤكد على مكانته ومزله العلمية بين أهل الإنصاف والتقدير. وتكشف عن دوره البارز في خدمة الفقه الإباضي ونشر فكره، وتظهر عمله الكبير في تجديد هذا الفكر. كان لابدّ إذن لرجل بهذه المواصفات وهذه

(١) الكتاب يقع في ثلاثة أجزاء، وقد حققه الأستاذان : مصطفى بن محمد شريف، ومحمد بن موسى بابا عني .

• الشيخ أحمد بن سعود السيابي، مقابلة شخصية.
(٢) الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مقابلة شخصية.

المكانة، أن تكون له علاقة كبيرة بإخوانه في المذهب، الموجودين في مناطق أخرى، وبخاصة في عمان.

لكن مما يؤسف له أن هذه العلاقة غير معروفة إلا بقدر يسير، مما سنذكره فيما يأتي. لست أدري ما هو السبب ؟ هل إن هذه العلاقة غير موجودة أصلاً بسبب حالة الظلام التي كانت سائدة في عمان وفي وادي ميزاب : ظلام الجهل والفتن، كما قال الشيخ أحمد بن حمد الخليلي عن هذه الفترة: " كان الاتصال بين المشرق والمغرب ضعيفاً، كان الناس في حاجة إلى إحياء العلم " (١). أم إن الفتن التي حدثت منعت الاتصال بين الجناحين ؟ أو على الأقل صعبت هذه الاتصالات ؟ أم لم تتح فرص ليتعرف كل جناح على ما في الجناح الثاني من علم وفضل وخير ؟ أم إن هذه الاتصالات كانت موجودة : سواء عن طريق اللقاءات أم الرسائل...، لكن آثارها غابت، والوثائق التي سجلت ذلك ضاعت ؛ بسبب الفوضى التي كانت، والفتن التي سادت، وبخاصة في عمان في نهاية دولة اليعاربة ؟ هذه المسألة في حاجة إلى بحث وتعليل وتفسير.

وجّهنا أسئلة إلى المشايخ حول بداية علاقة الشيخ عبد العزيز الثميني بعمان، وكان الجواب لا ندري بالتحديد متى بدأت، وكيف تعرف العمانيون على شخصيته.

لم يُعرف ما إذا كان الشيخ عبد العزيز الثميني قد التقى بشخصية عمانية أم لا ؟ إلا أن الشيخ أحمد بن سعود السبائي يقول يمكن أن يكون قد حصل ذلك، وربما عن طريق الحجّ. فطالما تعود الإباضية على الالتقاء في الحجّ. وطالما يكون الشيخ عبد العزيز قد حجّ، فلا بدّ أن يكون الشيخ قد التقى بشخصيات عمانية.

(١) مقابلة شخصية.

هكذا كانت إجابته عامّة غير محدّدة. كما سألنا عن مراسلاته مع العمانيّين، وكان الجواب : ليست لنا معلومات دقيقة في الموضوع. ويبدو أنّه لم تكن هناك مراسلات بين الشّيخ عبد العزيز والعمانيّين. ^(١) إلّا أنّ الشّيخ أحمد الخليلي لا يستبعد أن تكون بين الشّيخ عبد العزيز والشّيخ جاعد بن حميس الخروصي اتّصالات. بل أكّد لي أنّه كانت هناك اتّصالات بين أبي نبهان ثم ابنه ناصر وأهل المغرب. وهناك سبعة عشر سؤالاً وجّه من بني يزقن إلى أبي نبهان ثم ابنه ناصر. ذكر ذلك صاحب قاموس الشريعة في الجزء الثالث عشر. وذكر لي أنّ هناك من زار أبا نبهان من أهل المغرب. يبدو أنّه كان من بينهم ابن إدريسو أو إبراهيم بن يوسف طفيش. ^(٢) ألا يمكن أن يكون الشّيخ عبد العزيز ضمن من اشترك في هذه المراسلات والاتّصالات، وهو شيخ الحلقة والعالم، ومرجع الفتوى والعلم في وادي ميزاب ؟

في نظري إنّ الموضوع في حاجة إلى بحث واستقصاء. ربّما كانت إشارات أو إيماءات عن ذلك في ثنايا الكتب التي تذكر الشّيخ عبد العزيز، سواء تلك التي تناولت آثاره أم التي تحيل إلى آرائه، أم في مؤلّفاته ذاتها...

لماذا تكون المراسلات مستمرة عبر المراحل والعصور، وتنقطع في عهد الشّيخ عبد العزيز ؟ ومعه هو بالذات ؟

أنا شخصياً أستبعد انقطاعها ؛ بدليل وجود رسالة أرسلها الشّيخ عبد العزيز إلى عمان وجربة وأنحاء المغرب الإسلامي ؛ طلب فيها شراء كتب نفيسة في الفنون المختلفة. ^(٣) في المسألة غموض كبير، وسر محير، لا بد من الكشف عنه !

(١) الشّيخ أحمد بن مسعود السنابلي، مقابلة شخصيّة، والشّيخ سالم بن حمد الحارثي. ذكر لي ذلك في رسالة مؤرّخة بيوم : ٢٥ من محرّم ١٤٢٠ هـ .

(٢) مقابلة شخصيّة.

(٣) محمد عليّ دبّوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج ١، ط ١، المطبعة التعاونيّة، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م، ص : ٢٦٧ .

يذكر الشيخ أحمد بن سعود السبائي: إنَّ الشيخ عبد العزيز الثميني عرف بكتابه " التيل وشفاء العليل "، لكن هذا الكتاب لم يعرف ولم يشتهر عند العمانيين إلاَّ عن طريق شرح التيل : " والتيل كتب له الانتشار، ولكنه كان سفيره الشرح " ^(١)، أي لما ألفَ الشيخ الحاج محمد بن يوسف طفيش (ت: ١٩١٤م) شرح التيل انتشر كتاب التيل.

وهناك مسألة أخرى هي: لماذا لم يتأثر بمؤلفات الشيخ عبد العزيز أحد من معاصريه ؟ إنما حصل التأثير بها ممن عاشوا بعده. بينما الوضع يختلف عند الشيخ طفيش. هذا السؤال يفرض نفسه، ويثير الدهشة إذا استحضرنا الخصائص التي تميّز بها مؤلفات الشيخ عبد العزيز، التي جعلت العمانيين يقبلون عليها بشغف، كما ذكرنا سابقاً.

بل إنَّ مؤلفات الشيخ لم تصل إلى عمان إلاَّ متأخرة، فلماذا هذا التأخر في الوصول إلى الأرض التي كان الإعجاب فيها كبيراً بتاج أحد أعلام المغاربة ؟ وقد كان اللقاء يتم في الحجّ سنوياً، وفيه تُنقل أخبار العلم والعلماء، ألم يكن من المفروض ومن الواجب أن يُنقل ما يؤلف الشيخ عبد العزيز ؟ أو يذكر اسمه على الأقلّ : عالماً، فقيهاً، مفكراً، فيتعرّف عليه أهل المشرق مبكراً ؟ هذه مسألة أخرى في حاجة إلى نظر وتحليل عميقين.

(١) مقابلة شخصية.

هناك مجموعة كبيرة من الأسئلة، تحتاج إلى إجابات مقنعة لمعرفة حقيقة ما حدث في حياة الشيخ عبد العزيز الثميني. ومن خلال الأجوبة التي نظفر بها يمكن لنا أن نقوم شخصية الشيخ، ونحلّ المحلّ اللائق به.

✽ تعقيب الشيخ عبد العزيز الثميني على مؤلفات عمانية :

- ١- ألف كتابا سماه : : مختصر حواشي الترتيب لمسند الربيع ابن حبيب".
- ٢- شرح لامية ابن النظر، سمي الشرح : " الأسرار التوراتية على المنظومة الرائية".
- ٣- اختصر كتاب " منهج الطالبين وبلاغ الراغبين" للشيخ حميس بن سعيد الشقصي (توفي حوالي: ١٦٦٠هـ) ، اختصره في سبعة مجلدات، سماه " التاج المنظوم في درر المنهاج المعلوم ". والشيخ الشقصي من أبرز علماء الدولة اليعربية، وهو الذي قامت عليه إمامة اليعاربة، بداية من الإمام ناصر بن مرشد (١٠٠٤هـ/١٥٩٥م-١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) وهو أحد طلبة الشيخ الشقصي.

✽ تعقيبات العمانيين على مؤلفات الشيخ عبد العزيز:

- ١- الشيخ سيف بن حمد الأغبري (ت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) نظم كتاب " الورد البسام في رياض الأحكام"، سماه : " فتح الأكماء عن الورد البسام"، يقول الشيخ أحمد بن سعود السيّابي : " كذلك من الكتب التي صارت مرجعا في الأحكام القضائية " الورد البسام". إن هذا الكتاب ربّما انتشر في المشرق أكثر من المغرب، وأصبح مرجع القضاة.. لأنّ القضاء في سلطنة عمان صار واسعا، وفيها قضاة متعدّدون، فأقبلوا على كتاب الورد

البسام، يأخذون منه آلية تنفيذ الأحكام، حتى إنَّ الشَّيخ سيف بن حمد الأغبري فهو من القضاة الكبار، نظمه في كتاب سماه : فتح الأكماء، هذا دليل على اعتبارهم له، وتأثرهم به، ورجوعهم إليه. " (١)

٢- نظم الشَّيخ خلفان بن جميل السَّيَّاب (١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م - ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) كتاب التَّيْل وشفاء العليل وشرح التَّيْل في أرجوزة بلغت اثنين وثلاثين ألف بيت، سَمَّى هذا العمل " سلك الدَّرر الحاوي غرر الأثر "، "والكتاب مطبوع في مجلدين، وهو غزير المادة، يشمل أبواب الفقه، مع الأخلاق والتَّاريخ المحلي والسَّيرة، وقد أضاف الشَّيخ السَّيَّاب على التَّيْل وشرحه، وصحَّح وضعف. " (٢)

يذكر الدكتور مبارك بن عبد الله الرَّاشدي أنَّ الشَّيخ محمد ابن شامس البطَّاشي (ت ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) صاحب كتاب " سلاسل الذهب " استعار كثيراً مما ورد في كتاب التَّيْل وشرحه. " (٣)

ذكر لي الشَّيخ أحمد بن حمد الخليلي أنَّ في كتاب التَّيْل اقتباسات كثيرة، وتأثراً كبيراً بالتراث العماني^(٤)، طبعاً إلى جانب استفادة الكتاب من كتب المغاربة.

كما أنَّ الشَّيخ سعيد بن حمد الرَّاشدي (١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م - ١٣١٤ هـ / ١٨٩٧ م) وهو أحد تلاميذ الشَّيخ السَّالبي (ت : ١٩١٤) نظم أحكام

(١) مقابلة شخصية .

(٢) الدكتور مبارك بن عبد الله الرَّاشدي، " نشأة التَّوْنين للفقه واستمراره عبر العصور "، ينظر كتاب ندوة الفقه الإسلامي، ط١، نشر وزارة العدل والأوقاف الإسلامية، سلطنة عمان، سنة : ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص : ١٩٨.

(٣) ينظر كتابنا التَّواصل الثقافي بين عمان والجزائر. (مخ) ص: ٤١. وهو البحث الذي بين دفتي هذا الكتاب .

(٤) مقابلة شخصية مع الشَّيخ أحمد بن حمد الخليلي والشَّيخ أحمد بن سعود السَّيَّاب.

الجهاد، متأثراً بما ورد من أحكام الجهاد في كتاب التيل^(١) والمنظومة تسمى^(٢) "الدفاع والجهاد".

الشيخ عبد الله بن حميد السالمي في كتابه مشارق الأنوار، تأثر كثيراً بكتاب التيل.

تم تأثر بكتاب التيل وشرحه، الشيخ سفيان الراشدي في كتابه في فنّ الفرائض "كشف الغوامض..."، وكذلك الشيخ عليّ بن محمد المنذري (عاش في ق: ١٣هـ) قاضي زنجبار في كتابه "مختصر الأديان" تأثر كثيراً بمؤلفات الشيخ عبد العزيز الثميني.^(٣)

ومعظم من ألف في الفترة المتأخرة كان متأثراً بكتاب التيل وشرحه، حسبما يرى ذلك الشيخ أحمد السبائي.

٣- كتاب "معالم الدين" من أهم مؤلفات الشيخ عبد العزيز الثميني التي أقبل عليها العمانيون ؛ لكونه في العقيدة، في أصول الدين. يذكر أحمد بن سعود السبائي أنّ نسخة منه وصلت عمان في عهد الشيخ سعيد الخليلي (١٢٢٦ هـ / ١٨١١م - ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م)، ويقول : " أتوقع أن يكون قد وصل قبل هذا التاريخ. ويضيف : أستبعد أن يكون الشيخ جاعد بن حميس الخروصي قد حصل على نسخة منه أو ابنه ناصر." ^(٤) ويقول الشيخ أحمد الخليلي : " إنّ الكتاب وصل قبل قرن ونصف من الآن . " ^(٥)

(١) الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مقابلة شخصية.

(٢) ينظر دليل أعلام عمان، جامعة السلطان قابوس، مكتبة لبنان (د . ت)، ص : ٧٩.

(٣) مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد بن حمد الخليلي والشيخ أحمد بن سعود السبائي.

(٤) مقابلة شخصية. ما قاله الشيخ في حاجة إلى مناقشة.

(٥) مقابلة شخصية.

تمن تأثر بكتاب المعالم الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي في كتابه : "الحق المبين" ^(١) وهو في العقيدة. يمكن بعد إلقاء نظرة على كتابي : معالم الدين والحق المبين أن نقف على ما نقله الشيخ ناصر بن أبي نبهان عن الشيخ عبد العزيز الشامي.

وتمن تأثر بكتاب معالم الدين الشيخ عبد الله بن حميد السالمي في كتابه مشارق أنوار العقول. ^(٢)

كما أن الشيخ عبد العزيز تأثر كثيرا في كتابه المعالم بكتاب "كشف الغمة" للشيخ السرحني (عاش في ق: ١٢هـ/ ١٨ م) وقد أشار الشيخ عبد العزيز إلى ذلك كما ذكر لي الشيخ أحمد الخليلي. ^(٣)

يضيف الشيخ أحمد بن سعود السبائي : " يمكن ذلك ؛ لأنه ورد في آخر كتاب كشف الغمة شيء عن العقيدة والفرق الإسلامية والمذاهب. وهذه الموضوعات تناولها الشيخ عبد العزيز في كتاب المعالم. إلا أنني أرى أن الشيخ الشامي كان متأثرا بكتاب "الكشف والبيان" للقلهائي لأن الكتاب كان أكثر انتشارا في المغرب من كتاب كشف الغمة. ^(٤)

في الحقيقة إن رأي أحمد السبائي له وجهته ؛ لأن الكتابين يتطابقان من حيث الموضوعات المتناولة فيهما.

(١) ذكر للشيخ ناصر بن جاعد الخروصي كتاب آخر اسمه "الحق واليقين" لمست ادري أهو كتاب "الحق المبين" نفسه أم غيره . ينظر دليل أعلام عمان، ص : ١٥٩. وكتاب الحق المبين مخطوط غير مكتمل الأجزاء، لأن الشيخ ناصر لم يتم تأليفه.

(٢) الشيخ أحمد بن سعود السبائي، مقابلة شخصية.

(٣) مقابلة شخصية.

(٤) مقابلة شخصية.

الخلاصة

بعد النظرة العجلى والبحث المتعثر في موضوع صلة الشيخ عبد العزيز الشميني بعمان تبين لي ما يأتي :

١- صلة الشيخ عبد العزيز بعمان كانت قوية ومهمة ومؤثرة، وبخاصة فكره. وتأثيره في حركة التأليف في عمان كانت بارزة، وتأثره هو بمؤلفات العمانيين كان واضحا.

٢- أزعـم أن هذه الصلة جاءت متأخرة عن عهده^(١) وبخاصة وصول آثاره إلى عمان، وانتشار مؤلفاته فيها. وإذا ثبت ذلك وتأكد فإننا نتساءل : لماذا كان هذا التأخر ؟

٣- يبدو أن للظروف العسيرة أو السيئة التي عاشها الإباضية في عمان ووادي ميزاب أثرا في عدم بروز شخصية الشيخ عبد العزيز: عالما متميزا متبحرا في العلوم، ومفكرا مجددا في الفقه والفكر، فيتعرف عليه أبناء المذهب الإباضي، وبخاصة في عمان ؛ حيث كان أبنائه حريصين على معرفة كل صغيرة وكبيرة عن أية منطقة ومكان، يكون فيهما الإباضية. وخصوصا إذا كان الأمر يتعلق بعالم يحمي القلوب، وينعش النفوس، وينشر العلوم.

(١) هذا الحكم مبدئي، لغياب الدلائل والوثائق التي تنفي أو تثبت هذا الزعم.

٤- صلة الشيخ عبد العزيز بعمان تظلّ غامضة، وغير واضحة المعالم، وبخاصّة البدايات، وهو ما يفرض مجموعة من الأسئلة، نذكر من بينها ما يأتي :

أ- متى بدأ الاهتمام بكتب الشيخ عبد العزيز وبفكره، تعقيبا وتأليفا عليها ؟ وإذا جاء الاهتمام متأخرا فما هو سبب ذلك ؟

ب - هل صحيح إن كتاب التّيل وشفاء العليل لم ينتشر، ولم يشتهر في عمان إلا بعدما عرف العمانيون كتاب شرح التّيل ؟

ج - وهل شهرة الشيخ عبد العزيز جاءت بعد أن اشتهر الشيخ الحاج محمد طفيش ؟ إذا كان ذلك صحيحا فلماذا حصل هذا ؟

٥- لا بد من دراسة حياة الشيخ عبد العزيز دراسة معمّقة، ومعرفة التفصيلات عنها، للإجابة عن كثير من الأسئلة التي بقيت من دون تفسير.

٦- يجب قراءة مجموعة من مؤلّفات الشيخ عبد العزيز ومؤلّفات عمانيّة، للوقوف على حقيقة الصّلة بينه وبين عمان، وعلى مدى تأثيره بالعمانيين وتأثيره فيهم. مثلا :

أ- يقارن بين كتاب التّيل وشفاء العليل، وكتاب مشارق أنوار العقول للشيخ نور الدّين السّالمي، ومنظومة الشيخ سعيد بن حمد الرّاشدي في أحكام الجهاد، وكتاب كشف الغوامض للشيخ سفيان الرّاشدي، وكتاب مختصر الأديان للشيخ عليّ بن محمد المنذري، وكتاب سلك الدّرر للشيخ خلفان بن جميل السيّابي، وكتاب سلاسل الذهب للشيخ محمد بن شامس البطّاشي.

ب - يقارن بين كتاب معالم الدّين وكتاب كشف البيان للقلهاتي . عاش في النّصف الأوّل من القرن السّابع الهجري)، وكتاب كشف الغمّة للسّرحني،

وكتاب مشارق أنوار العقول للسالمي، وكتاب الحق المبين لناصر بن أبي نبهان، وكتاب قاموس الشريعة لخميس السعدي (توفي حوالي سنة ١٢٨٠هـ)، حسب رواية الشيخ أحمد بن سعود السبائي، وبعض مؤلفات الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، وبخاصة كتابه "تمهيد قواعد الإيمان، وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان".

ج - يقارن بين كتاب التاج وكتاب منهج الطالبين للشيخ حميس الشقصي.
د - يقارن بين كتاب الورد البسام وكتاب فتح الأكماء للشيخ سيف الأغبري...

٧ - بعض ما أوردته من أقوال وآراء وتأويلات واستنتاجات وتفريظات.. في حاجة إلى مناقشة ونقد وتمحيص وتوثيق؛ لأنها تمثل وجهات نظر خاصة، ولأنني لم أرجع إلى المصادر التي سجلت شتات الموضوع. بمعنى: إنني قدّمت الشيخ عبد العزيز برؤى خاصة، فمن اعتمدت عليه في هذا التقرير، ومن خلال وصف خارجي لشخصيته. إلا هذه الرؤى ساعدتني على تصوّر الخطوط العامة والمعالن الرئيسية في شخصية الشيخ عبد الرزق، وصلته بعمان.

٨ - ما جمعت في هذا التقرير ونقلته وأثبتته يعدّ مفاتيح لدراسة شخصية الشيخ عبد العزيز الشميني، عسى أن يكون ذلك بداية لدراسة جادة ومعقّدة، وأكثر دقة وشمولية ومنصفة لشخصيته وفكره وأعماله. والله وليّ التوفيق.

نزوى يوم الأحد ٢٧ من صفر ١٤٢٠هـ
١٢ من جوان ١٩٩٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علاقة الشيخ محمد بن محبوب بن الرّحيل بالمغرب الإسلامي *

إنّ العلاقة الثقافيّة الفعلية بين عمان والمغرب الإسلامي قد بدأت في بداية القرن الثاني الهجري، وما تزال متواصلة - والحمد لله - إلى اليوم. وقد تمت على شكل: عقد لقاءات وتبادل زيارات، وكتابة رسائل وتعاون في التأليف، وإرسال بعثات علمية وطلب كتب، واستفتاء واستشارات، وتقديم الدّعم المعنوي والمادي للجهة التي يدبّ فيها الضّعف... وغيرها من أوجه التّواصل والتّعاون. (١)

من الأسر العمانيّة الكبيرة التي كان لها دور عظيم في هذه العلاقة وهذا التّواصل أسرة آل الرّحيل . لقد كان لها دور ريادي في الحركة العلميّة والنشاط السياسي في عمان ؛ وذلك من خلال ما نشره أفرادها من علم، وما ألّفوه من كتب، ومن خلال ما أصّلوه من مسائل، وما يّنّوا من قواعد في كثير من أصول العلم وفروع المعرفة... وقد كانت أعمالهم العلميّة وآراؤهم الفكرية تحمل صفة المرجعية لمن جاء بعدهم من المشاركة والمغاربة ؛ إذ لا يكاد يخلو كتاب من كتب الأصحاب من آراء أسرة آل الرّحيل. خاصة أفكار أبي سفيان محبوب بن الرّحيل وابنه أبي عبد الله محمد بن محبوب. (٢)

وسيرة ابن الرّحيل تعدّ أهمّ المصادر الإباضية في التعريف بنشأة المذهب وأصوله وعلمائه الأوائل. (٣) وعن أهميتها قال الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرّسمي (ت ٢٥٨هـ): "عليكم بدراسة كتب المشاركة، ولا سيما كتاب أبي سفيان". (٤) قال عنه أبو العباس أحمد الدرّجيني (ت ٦٧٠هـ): "...أحد الأخيار الأنجار، وممن سبق إلى تخليد سير السلف الأخيار، واللفّ بما يحصل عنده عنهم من الآثار، وجمع ذلك

في سلك واحد بين غرائب الفقه، وعجائب الأخبار، وذكر مناقب المجتهدين من مجاهدين في سبيل الله وأنصاره، ونبذه على مثالب من بدا منه إقصار... (٥) وقال عنه الشَّماخي (ت ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م) : " إله المقيد غرائب الفقه وعجائب الأخبار، ساد الفضلاء علما وحفظ الآثار... (٦) وقال الشيخ أحمد بن حمد الخليلي : "...بأنه واسطة العقد بين علماء أهل المشرق وعلماء أهل المغرب. (٧) وقد تسلسل هذا الدَّور في أبنائه وأحفاده، وظهر جليًا في تلاميذهم، وفي الكتب المؤلفة. وبرز في كثير من الأصعدة والمجالات المعرفية والعلمية. وامتدَّ في من جاء بعدهم من العلماء عبر العصور، وانتقل إلى كثير من الأنحاء والبقاع في العالم، منها المغرب الإسلامي، الذي نحاول أن نبين فيما يأتي بعض هذا الدَّور من خلال علاقة أحد أفراد هذه الأسرة المتميزين الشيخ محمد بن محبوب بن الرِّحيل (ت ٢٦٠هـ / ٨٧٣م) بهذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي.

أبو عبد الله محمد بن محبوب بن الرِّحيل بن سيف بن هبيرة القرشي المخزومي (٨) عالم وفقه، بل هو شيخ زمانه، ومرجع الفتوى في عصره، أخذ العلم عن شيخه وصهره الشيخ موسى بن علي (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م). كان هو والبشير بن المنذر (عاش في القرنين الثاني والثالث الهجريين) ممن قام بالبيعة للإمام الصَّلْت بن مالك (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٧م) عام : (٢٣٧هـ / ٨٥٢م) (٩)، تقلَّد في عهده القضاء على مدينة صحار وتوابعها سنة : ٢٥١هـ. كان له دور كبير في إرساء دعائم الإمامة الثانية في عمان (١٠) كما كان لأفكاره تأثير كبير في مجريات الأحداث الفكرية والسياسية في عمان. وهو يتميز بالصَّلابية في المبادئ والمرونة في التعامل والتحرُّك (١١) وكان يميل إلى التيسير على الناس والأخذ بأرفق الأوجه، مع الاحتياط في الدين. هذا من تمام قوَّة شخصيته ووزارة علمه، وثقته بنفسه، وهو ما أهله كي يحوز على إمامة المسلمين العلمية.

لوجوده في صحار يَمَّ كثير من أبناء عمان وجوهمهم شطر هذه المدينة لينهلوا من علمه، وقد تخرَّج في مدرسته الكثير من العلماء الذين أسهموا في الحركة العلميَّة في عمان وغيرها. (١٢) بل كان له سبق في مجال التَّأليف كما يشير إلى ذلك الدكتور مصطفى بن صالح باحو: "يوجد في المكتبات المغربيَّة مخطوط نفيس لابن محبوب، لم أعر على ذكره لدى المشاركة - ولا ادَّعي الاستقصاء - وهو بعنوان (أبواب مختصرة من السنَّة) ويعتبر هذا المخطوط مصدرا ثمينًا لكونه يمثل بواكير التَّأليف الأصولي عند الإباضيَّة ، بل لا نعدو الحقيقة إن قلنا إنَّه نموذج ناضج لمؤلَّفاتهم في علم الأصول. فقد تضمَّن تفصيل مصطلح السنَّة، ومدى التوسُّع في استعمالها، والاحتجاج به في مختلف أبواب الفقه . والطَّريف أنَّه توسَّع في دلالة المصطلح، فاعتبر كلَّ ما جاء الشَّرع بحكمه أنَّه من السنَّة، سواء ورد به الكتاب أم الحديث أم كان عن رأي واجتهاد، ما دام الكلُّ مشروعًا بسنَّة الرِّسول صَلَّى الله عليه وسلَّم الموحى إليه. ويذكر أحيانًا مسائل ثبتت بالسنَّة، ويؤيِّدها الإجماع أو القياس. " (١٣)

إنَّ شهرة هذا العالم لم تقتصر على عمان بل تعدَّتْها إلى غيرها كمنطقة المغرب الإسلامي، بل إنَّ شهرته العلميَّة " لا تقلَّ عنها في عمان، ولهذا رجع إليه المغاربة في الكثير من المسائل التي تعنَّ لهم، رغم ما اشتهرت به الدَّولة الرِّسمنيَّة من وجود العلماء فيها. " (١٤) وقد تجلَّتْ هذه الشَّهرة في هذه العلاقة، التي كانت تربط الشَّيخ بالمغاربة، وفي هذا التعلُّق الذي أبدوه نحوه. من مظاهره اللِّقاء العلمي والتَّاريخي الذي حصل في مكَّة بين الشَّيخ محمد بن محبوب والشَّيخ أبي حفص عمرو بن فتح المغربي (ت ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م). هذا اللِّقاء الذي ما فتئت المصادر الإباضيَّة تنوِّه بقيمته العلميَّة حيث " ذكروا أنَّ عمرو وأصحابه توجهوا إلى بلاد المشرق حتَّاجًا، فلمَّا نزلوا مكَّة وجدوا بها محمد بن محبوب

رحمه الله، فدخلوا عليه في مجلس فوجدوه مع أصحابه، فسلموا عليه، فهش بهم وقرهم إجلالا بالجنس، دون معرفة الأشخاص. فلما تبوؤوا مقاعد المذاكرة، سأل عمروس أبا عبد الله عن مسألة، فقال ابن محبوب إن كان أبو حفص في شيء من هذه البلاد فلا يصدر هذا السؤال إلا عنه، ولا يرد إلا منه. فقالوا له : إنه هو السائل، فرفع ابن محبوب مجلس عمروس لما عرفه، وزاد دنوه من مجلسه، ثم جعل عمروس يسأل في مسائل الدماء عن مسألة بعد مسألة، حتى قال له ابن محبوب: هذا من مكنون العلم، لا يعلن به في قوم جهال. فعند ذلك قال عمروس لأصحابه احفظوا السؤال واحفظ لكم الجواب، حتى نقدم على إخواننا فنخبرهم بما حفظنا، ففعلوا، فلما قدموا بلادهم قال لهم عمروس: هلّم ما تكفّلتُم به، فقالوا لم نحفظ شيئا سوى قولك احفظوا المسائل لنرد بها على إخواننا. ثم إن عمروسا أعادها مسألة فمسألة عن آخرها. " (١٥)

هذا اللقاء الذي تم بهذه الكيفية، ودار فيه هذا الحوار العلمي كشف عن العلاقة الثقافية المتميزة بين الجناحين الشرقي والمغربي. وأبان عن غزارة علم الشيخ محمد بن محبوب، وأبرز مكانته في مسيرة الفكر الإسلامي. ذلك أن عالما كبيرا كعمروس بن فتح يتعلم ويستفسر عن مسائل علمية في مجلس الشيخ ابن محبوب. ودلّ اللقاء على تعلق المغاربة بإخوانهم المشاركة... لهذا كما قال الأستاذ محمد بن ناصر المنذري " رجع إليه المغاربة في الكثير من المسائل التي تعن لهم، رغم ما اشتهرت به الدولة الرستمية من وجود العلماء بها. " (١٦)

وعلاقة الشيخ ابن محبوب بالمغرب الإسلامي تبدو في هذا الإعجاب الذي أبداه المغاربة بآثاره الفكرية . فجامعه الذي يتألف من سبعين جزءا كان محل تقدير العلماء المغاربة . يروى أن أبا محمد " ويسلان " المغربي كان يقرأ على أبيه أبي

صالح " أبي بكر بن قاسم الهيراسي " مختصر ابن محبوب .، وكان أبو صالح يقول: كلام محقق فقيه أصولي (١٧)

وتبدو العلاقة بين الشيخ ابن محبوب والمغاربة - أيضا - في السيرة التي أرسلها إليهم. (١٨) وقد عاجلت السيرة أكثر من خمسين مسألة : في العقيدة والفقه والأخلاق والسياسة الشرعية والحدود، و تناولت موضوعات أخرى كالارتداد والتقية والغزو والجهاد...وقد دعا فيها الشيخ إلى الالتزام بمسالك التقوى، وإلى طاعة الأئمة. كما كان لهذه السيرة أثرها في القضاء على فتنة خلف بن السمح. (١٩) زخرت السيرة بفقهِ غزير، وأحكام شرعية مهمة، كشفت عن قدرة صاحبها العلمية، وتميَّزه الفكري، وسجَّلت ريادة في تقرير بعض الحقائق، وتأصيل بعض المسائل، وأبرزت استقلاله النظري... من هنا حاز الشيخ الإعجاب والتقدير، واتخذ قدوة وإماما.

إنَّ السيرة في حاجة إلى دراسة تحليلية معمقة؛ لما تضمَّنته من علم كبير، وما عرضته من قضايا سياسية ومسائل فقهية، وما أثارته من أسئلة مهمة... افتتح الشيخ محمد بن محبوب السيرة بقوله : " إلى جماعة من كتب إليه من المسلمين من أهل المغرب، من أخيه محمد بن محبوب، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا الله حمدا كثيرا، وهو لذلك أهل، وأسأله الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم تسليما، أوصيكم بتقوى الله وذكره كثيرا، وذكر ما أنتم إليه صائرون، وعليه موقوفون، وعنه مسؤولون، وأحثكم على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم عليه من أمانته، وافترض عليكم من عبادته؛ بإتيان ما به أمر، والانتفاء عما عنه زجر، فيما أخذ عليكم من الميثاق، ورضي لكم به من أخلاق، من ترك المحارم، والكف عن المظالم، واجتناب الكبائر، والعمل على البصائر، في آناء الليل والنهار، والعلاية والإسرار، فإن ذلك أحق ما كنتم له

طالبون، وفيه راغبون ، وعليه مواظبون، قبل انقطاع آمالكم وحلول آجالكم، وما توفيقى وإياكم إلا بالله، أما بعد... " (٢٠)

بالتأمل في موضوعات الرسالة نقرأ الرغبة الصادقة في الانطلاقة الحسنة والثابتة التي أرادها المغاربة في مسيرتهم، فهم كانوا يسألون عن أمور وأساسيات مطلوبة في مجال التكوين والإعداد، والبدء في الحركة والنشاط، حتى تكون الانطلاقة على أساس سليم، تصدر عن وجهة نظر الدين الإسلامي. " إنهم استشاروا مجتهد الأمة وعالم الإباضية فيما أشكل عليهم واستجدّ في الساحة، الذي فرضه الواقع المعيش، والنشاط الذي بدؤوا يقومون به. " (٢١)

يعلق الدكتور فرحات الجعبري على المسائل التي وردت في سيرة محمد ابن محبوب : " إن التحليل الحضاري لهذه المسائل يثبت أن البيئة الإباضية في المشرق والمغرب عرفت من التعقيد الحضاري الشيء الكثير، ذلك أنها دبّ فيها الخلاف الداخلي، وهو من أكبر عوامل الوهن، إلى جانب ما تواجهه على الجبهة الخارجية من ضغط الدولة العباسية... ومثل هذا المحيط من الصراع الداخلي من شأنه هو الآخر أن يثير عديدا من القضايا الدقيقة في شأن أولي الأمر، خاصة وأن الفكر الإباضي اتسم من يومه الأول بالتحري الكبير في شأن هؤلاء، وكانت ثورتهم حينما قامت ثورة على الظلم والظالمين، مهما قلت نسبة هذا الظلم. " (٢٢)

ما يثبت ذلك الرسالة التي أرسلها بعض فقهاء المسلمين بالمغرب إلى الإمام الصلت بن مالك. (٢٣) وقد تزامنت مع رسالة الشيخ ابن محبوب. وهي "لا تخرج عن المسار والدائرة التي دارت فيها رسالة محمد بن محبوب في الروح التي تحملها، والأفكار التي تناولتها، والموضوعات التي عرضت لها، والأسباب الداعية إلى كتابتها. فقد كتبت في موضوع الاختلاف والشتقاق والتنازع والتشاجر

والفتنة، ثم الدعوة إلى الائتلاف والاتحاد. وقد تطرقت إلى موضوع الإمامة وشروطها، وما يتعلق بها، وأحكام الولاية والبراءة.." (٢٤)

على العموم إن سيرة الشيخ أبي عبد الله تثير مجموعة من الأسئلة، في حاجة إلى إجابات مقنعة وصریحة ومسؤولة . منها :

أ - لماذا سميت بالسيرة وهي تتضمن آراء وأحكاما شرعية، وهي لا تحمل

صبغة السير التي تعبر عن وجهة النظر الشخصية في الأحداث ؟

ب - من الذي أرسل هذه الأسئلة إلى الشيخ محمد بن محبوب؟ ماصفته؟ ما هو الدافع إلى ذلك ؟ هل أرسلت رأسا إلى أبي عبد الله كما ذكر أحمد العبيدي : "ضمت الرسالة الأصلية التي بعث بها بعض إياضية المغرب مسائل لمعرفة آراء إياضية المشرق، وهو تقليد درجوا عليه" (٢٥) هل كتبها الشيخ ابن محبوب على لسان الإمام الصلت بن مالك كما ذكر ذلك الدكتور رجب محمد عبد الحليم : "... يستفاد ذلك مما رواه لنا أبو عبد الله في كتابه بيان الشرع أن محمد بن محبوب بن الرحيل كتب لأهل المغرب كتباً على لسان الإمام الصلت بن مالك." (٢٦)

ج - لماذا لم يشر الإمام أفلح الرستمي إلى هذه السيرة، وقد كتبت في عهده أو

في عهد أبيه، بينما أشاد يسيرة أبيه: أبي سفيان محبوب بن الرحيل؟

د - لماذا لم ترد هذه السيرة في المصادر المغربية ؟

هـ - يقول الأستاذ أحمد العبيدي : " فمن بين أبرز مواقف محمد بن محبوب كونه يبرأ من الإمام المهنا، ربما بسبب الأحداث التي جرت حين حادثة مواجهة بقايا أسرة آل الجلندي، والفظائع التي ارتكبتها بعض الجنود من قوات الإمام، وبسبب تشدد الإمام أزاء المخالفين على الدولة، بل إن أبا عبد الله أراد أن يكتب هو وعلماء آخرون كتابا فيه إظهار البراءة من المهنا، إلا أن أبا المؤثر تمكن

من ثيهم عن ذلك؛ بسبب التَّخَوُّفِ أن يُوَدِّي ذلك إلى انقسام كبير في الدَّولة. ويجد المرء مثالا من ذلك في سيرة محمد بن محبوب إلى المغاربة ... وما يرد هنا في السَّيرة ربَّما يكون انعكاسا لما كان يعمل في صدره حينئذ، أو بعد تلك الأحداث، أو ربَّما كان الأساس النظري الذي انطلق منه للحكم على تلك الأمور؟" (٢٧) هل يمكن قبول هذا الرأْي؟ وهل تعدُّ هذه السَّيرة - فعلا - إسقاطات نفسية لما لم يتمكن الشَّيخ محمد ابن محبوب البوح به مباشرة؛ حفاظا على الوحدة، واتِّقاء للفتنة؟ فلَمَّا جاءت الفرصة للتعبير عن رأيه فيما سئل عنه، ممَّا جاءه من إخوانه في المغرب، اغتتمها، فأدلى بما أراد الإدلاء به. وبذلك شملت السَّيرة الإجابة عمَّا دار في الجناحين المشرقي والمغربي، فيكون في ذلك تعويض عمَّا لم يستطع الإعلان عنه مباشرة؟ وهل يمكن عدُّ هذه السَّيرة إجابات عن أسئلة افترضها هو؟ إذ أننا نشعر أحيانا أنَّ الشَّيخ يفتعل الحوار، ويجعله مفتوحا بينه ومن يسأله وهو حاضر معه في المجلس؟ المهم، إنَّ ما أدلى به الأستاذ أحمد العبيدلي، وما أهملت المصادر المغربية إثباته يفتحان مجالاً لتساؤلات عديدة، عسى الدِّراسات اللاحقة تسعفنا بالإجابة الشَّافية عنها .

هناك أسئلة عديدة تثيرها هذه السَّيرة، وهناك مجال كبير تفتحه للدِّراسة والتأمُّل والمقارنة. وهناك آفاق واسعة تنتظر الباحث الجادَّ الرَّاغِب في الاستقصاء والتَّحرِّي والكشف عن المكنون من الأسرار في حياة الشَّيخ أبي عبد الله، وفي شخصيته العلميَّة والفكرية والسياسية ...

كما أنَّ أثر الشَّيخ في المغاربة يحتاج إلى مزيد من البحث والدِّراسة؛ لأنَّه ما يزال غير واضح. ومواقفه - أيضا - في حاجة إلى دراسة وتحليل؛ لما تمتاز به من صلابة في المبادئ ومرونة في التَّحرُّك واستشراف المستقبل ...

إننا نعدّ هذه الندوة المنعقدة حول شخصيّة الشّيخ محمد بن محبوب بن الرّحيل ودوره في تطوّر العلوم الفقهيّة في عمان، نعدّها قاعدة انطلاق لدراسات مستقبلية، أكثر عمقا وتحليلا ونقدا لإبراز جهد الرّجل ودوره في الحركة العلميّة والحياة السّياسيّة في عمان وغيرها .

الهوامش :

• شاركت بهذا البحث في الندوة التي أقامتها وزارة الأوقاف والشؤون الدّينيّة (سلطنة عمان) عن الشّيخ محمد بن محبوب بن الرّحيل، في جامع السّلطان الأكبر (مسقط) أيام : ٣٠ من شوّال حتّى ١٢ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ / ١٤، ١٥، ١٦ من يناير ٢٠٠٢م. وعنوان الندوة (تطوّر العلوم الفقهيّة في عمان خلال القرن الثالث الهجري ، الشّيخ محمد بن محبوب بن الرّحيل نموذجا.

(١) ينظر الشّيخ فرحات الجعبري، علاقة عمان بشمال إفريقيا، ط١، المطابع العالميّة، رويّ، سلطنة عمان. و" الإباضيّة في شمال إفريقيا وعلاقتهم بعمان " كتاب عمان في التاريخ، دار أميل للنشر، لندن، سنة ١٩٩٥م، ص: ٢١٣ وما بعدها. وبحثنا التّواصل الثّقافي بين عمان والحزائر. ومحمد بن ناصر المنذري، صحار وتاريخها السّياسي والحضاري منذ ظهور الإسلام حتّى نهاية القرن الرابع الهجري. رسالة ماجستير (مخ) جامعة القاهرة، كليّة دار العلوم، قسم التاريخ والحضارة والإسلاميّة، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص: ٣٧٨ وما بعدها ...

(٢) لمزيد من التّفصيل عن هذا الدّور وهذا الفضل ينظر، صحار وتاريخها السّياسي والحضاري، ص: ٣٠٩ وما بعدها.

(٣) ينظر عمان في التاريخ، ص: ٢٢٢ .

- (٤) أبو القاسم البرّادي، رسالة فيها تقييد كتب أصحابنا. ينظر الدكتور عمّار طالبي، آراء الخوارج الكلاميّة، الجزء الثاني، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص : ٢٨٤.
- (٥) الشّيخ أبو العبّاس أحمد بن سعيد الدّرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، الجزء الثاني، حقّقه وقام بطبعه إبراهيم طلاّي، (من دون ذكر مكان الطّبع وتاريخه)، ص: ٢٧٨، ٢٧٩.
- (٦) أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشّماخي، السّير، الجزء الأوّل، تحقيق أحمد بن سعود السيّالي، نشر وزارة التّراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص : ١٠٨.
- (٧) صحار وتاريخها السّياسي والحضاري، ص: ٣١٠. ينظر أيضًا عمان في التاريخ، ص : ٢٢٣.
- (٨) سيف بن حمود بن حامد البطّاشي، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، الجزء الأوّل، ط١، مطابع التّهضة، مسقط (سلطنة عمان) سنة ١٩٩٢م، ص: ١٩١.
- (٩) الشّيخ نور الدّين عبد الله بن حميد السّالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، الجزء الأوّل، النّاشر مكتبة الإمام نورالدّين السّالمي، مسقط (سلطنة عمان)، سنة ١٩٩٥م، ص: ١٦٢.
- (١٠) صحار وتاريخها السّياسي والحضاري، ص: ٣١٣، ٣١٢.
- (١١) ينظر إشارات إلى ذلك، المرجع السّابق، ص : ٣١٢ .
- (١٢) ينظر إتحاف الأعيان ج ١، ص : ١٩٢، ١٩٣ .
- (١٣) مراسلة خاصّة، قسنطينة (الجزائر)، يوم : ١٢ من يناير (جانفي) ٢٠٠٢م

- (١٤) صحار وتاريخها السياسي والحضاري، ص: ٣١٣ . (يرجع إلى المراجع المذكورة) .
- (١٥) كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ج٢، ص : ٣٢ . ينظر أيضا كتاب السّير للشّماخي ج١، ص: ١٩٣، ١٩٤ .
- (١٦) صحار وتاريخها السياسي والحضاري، ص : ٣١٣ .
- (١٧) ينظر كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ج٢، ص: ٣٥٧، ٣٥٨ .
- (١٨) تراجع السّيرة في كتاب السّير والجوابات لعلماء وأئمّة عمان ج٢، تحقيق الدّكتورة سيّدة إسماعيل كاشف، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م، ص : ٢٢٣ - ٢٦٨ .
- (١٩) الدّكتور رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، مكتبة العلوم، مسقط (سلطنة عمان) سنة ١٩٩٠م، ص : ١٤٣ . ينظر أيضا أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمّة وأخبارهم، المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٥ م، ص : ١٢٨ - ١٩٧ .
- (٢٠) السّير والجوابات لعلماء وأئمّة عمان ج٢، ص: ٢٢٣، ٢٢٤ .
- (٢١) محمد ناصر بوحمام، التّواصل الثقافي بين عمان والجزائر (مخ)، ص : ٤٤ .
- (٢٢) علاقة عمان بشمال إفريقيا، ص: ٣٣ .
- (٢٣) ينظر كتاب السّير والجوابات لعلماء وأئمّة عمان ح١، ص : ١٨١ - ٢٢٨ .

- (٢٤) التّواصل النّقافي بين عمان والجزائر، ص : ٤٥ .
- (٢٥) أحمد العبيدلي، " السّير العمانيّة كمصدر لتاريخ عمان : سيرة محمد بن محبوب "، مجلّة نزوى، العدد الثّاني، مارس ١٩٩٥م، ص : ٣٠ .
- (٢٦) الإباضيّة في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضيّة عمان والبصرة، ص : ١٤٣. ينظر محمد بن إبراهيم الكندي، بيان الشّرع، ج٢٨، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص : ١٩٥ .
- (٢٧) مجلّة نزوى، العدد الثّاني، ص : ٣١، ٣٢ .
- نزوى يوم : ٢٨ من شوال ١٤٢٢هـ
١٢ من يناير ٢٠٠٢م
- الدّكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام



الملحق رقم (٣) :

انتداب إلى سلطنة عمان (١٩٧٧ - ١٩٧٩ م)

انتدبت أنا والأخ ييوض عمر بن بابه من طرف وزارة التربية والتعليم بسلطنة عمان؛ للقيام بوظيفة خبراء في التربية الإسلامية. كان أول عمل كلفنا به هو القيام بحولة استطلاعية وتفتيشية للجوامع؛ للتعرف على الشيوخ، وعلى طريقة التعليم، كما كلفنا بالاطلاع على الدراسة بمعهد الوطنية الإسلامي بمسقط.

بعد هذه الجولات كلفنا بالتفكير في طريقة لتطوير التعليم الديني، خاصة في الجوامع، التي كانت تدرس حسب الطرق التقليدية، ولا تخول للمترشحين منها أي تكوين، أو أي مستقبل.

فشرعنا برسم خطة، تخول لطلبة الجوامع أن يدرسوا القرآن والعلوم الشرعية في الجوامع، ويدرسوا العلوم الأخرى بالمدارس النظامية (على غرار ما عندنا بوادي ميزاب) .

بعد هذا يخول للطلبة المترشحين من الجوامع الدخول إلى المعهد الإسلامي بـ " الوطنية " الثانوي؛ حيث يتخصصون في العلوم الإسلامية، وبعدها ينتقلون إلى الكليات الإسلامية.

عندما انتهينا من إعداد الخطة، عرضناها على الشيوخ، وكانت الخطة تشمل على تقرير لواقع التدريس بالجوامع، وعلى مشروع لتطوير تلك الدراسة، وعلى خطة مرحلية للتطبيق العملي للمشروع.

عرضت الخطة شفاهياً وكتابياً على معالي وزير التربية آنذاك، فحبذها، لكنها باءت بالفشل؛ لأن الخطة كانت تحرم بعض الطلبة من بعض الامتيازات المادية مع الأسف.

في ميدان التأليف كلّفنا بإعداد مجموعة من الدّروس في بعض المواضيع الخاصة بالحديث والفقه، لصالح قسم التربية الإسلامية.

فيما يخصّ أبناء الإباضية الذين يدرسون في المدارس النظامية بمسقط، قمنا بفتح نواة لمدرسة قرآنية، تدرّس المواد الشرعية وتوابعها، وذلك بين المغرب والعشاء في مسجد " عبد الرّضا " بروي (مسقط)؛ حيث درّسنا لهؤلاء التلاميذ المواد الآتية: القرآن الكريم ؛ حفظا وتلاوة (بتعليمهم بعض مبادئ التجويد) الفقه، التوحيد، الحديث (حفظا وشرحا). وكان المقصود من هذا هو فتح مدارس قرآنية، على غرار ما عندنا بوادي ميزاب.

ونظرا لوجود طلبة يتخرجون من المدارس النظامية (ومن الجوامع خاصة) يتأهلون لتدريس العلوم الشرعية، وهؤلاء يكونون عادة غير مؤهلين لذلك، طلبت من دائرة المناهج والتأهيل التربوي، قسم التدريب والتأهيل التربوي إعداد دورة صيفية مكثفة لهؤلاء، فشرعنا في تأليف بعض الدّروس الأساسية ، يتلقاها المتأهل شفاهيا وكتايا، ثمّ يمتحن فيها. فشاركنا في التأليف والتدريب والامتحان والتصحيح. هذا كلّه في السنة الدّراسية (١٩٧٧-١٩٧٨م)

أما بالنسبة للسنة الدّراسية (١٩٧٨-١٩٧٩م) فقد عيّنت مديرا للمعهد الإسلامي الثانوي بالوطية (مسقط)، أما الأخ عمر بن بابه بيّوض فرجع إلى الجزائر. أعانكم الله .

أخوكم : حميد أوجانه سليمان بن القاصر (ملّلي)

الملحق رقم : (٤)

تقرير عن مهمة في عمان

مرّت العلاقة بين عمان والجزائر بفترة فتور، وبخاصّة إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر، لولا بعض المراسلات التي كانت تربط الصّلة بين شيوخ الإباضية في البلدين، أو اللقاءات في موسم الحجّ، أو تبادل الآراء والفتاوي...

بعد استقلال الجزائر سنة ١٩٦٢م استؤنف تبادل الزيارات بين المشايخ بكلا البلدين؛ ممّا نتج عنه إرسال بعثات من الطّلبة العمانيين إلى مدينة القرارة (الجزائر)، وانضمامهم إلى مدرسة الحياة ومعهد الحياة الثّانوي، والإيواء في دار البعثات البيّوضيّة، لمُدّة تزيد عن العقد من الزّمن. وكان هؤلاء الطّلبة خير سفراء لبلادهم؛ من حيث الأخلاق والدّين والانضباط وحبّ العلم، والمثابرة والجدّ. وعند رجوعهم إلى وطنهم كانوا مصدر إشعاع وتنوير وتطوير وتحديث لمجتمعهم العماني، الذي كان يتطلّع إلى الاستفادة من التجربة الميزابية في التنظيم الاجتماعي والتربوي والتعليمي. وقد تبنّوا هؤلاء الطّلبة مراكز اجتماعيّة ومهنيّة ووظيفة مهمّة، أثبتوا فيها كفاءاتهم.

بعد هذه التجربة فكّر العمانيّون في تطوير التعاون باستقدام أساتذة ومشايخ وإطارات من الجزائر إلى عمان؛ للمشاركة في الحياة التّنمويّة التي تعيشها البلاد، في عهد السّلطان قابوس، وللاستفادة ميدانيّاً من التجربة الميزابية في جانب الحركة التعليميّة، وترسيخ المذهب الإباضي، وتنظيم المجتمع. وقد تكفّل بهذه العمليّة كلّ من الشّيخ عدّون (سعيد بن الحاج شريف) حفظه الله، والأخ الناصر بن محمد الزيّدي، ممثلاً عن العمانيين، وعلى رأسهم الشّيخ أحمد بن حمد الخليلي - حفظه الله - وبعد استشارات واتّصالات ببعض المشايخ والإطارات، وتعدّر ظروف البعض لخوض هذه التجربة، استتبّ الأمر إلى الأخ حميد أوجانه سليمان

بن الناصر (ملألي) والأخ بيوض عمر بن بابيه (كاتب هذه المذكرة)، وقد كانا موظفين في وزارة التربية الوطنية الجزائرية.

بعد إتمام الترتيبات الإدارية مع الوزارة والترخيص لهما بالاستفادة من وضعية (الاستيداع)، تمكن المعنيان من السفر إلى عمان في بداية شهر ديسمبر من عام ١٩٧٧م، وقد مكثنا مدة شهر في فندق الفلج، كفترة استطلاعية وتعريفية، قمنا فيها بزيارات ميدانية عديدة في مسقط، وفي داخل عمان. مكثنا - في عين المكان - من معرفة النظام الاجتماعي والثقافي والديني والتعليمي، والنشاطات المختلفة للشعب العماني، وخاصة الشباب المتطلع إلى المشاركة في الحركة التنموية، التي يقودها السلطان قابوس بن سعيد، بعد تنصيبه على رئاسة الدولة الحديثة المزدهرة. كما تعرفنا في هذه الجولات على الكثير من المشايخ العمانيين ورجالات الأدب والعلم والاقتصاد؛ مما زاد الكثير من معارفنا عن عمان وتطلعاتها.

بعد هذه الفترة التي دامت حوالي ثلاثة أسابيع، تبين لنا أن في عمان نظامين للتعليم :

١ - تعليم في المساجد غير مقيد بالسّن، على الطريقة القديمة، أي طريقة الحلقات، ويستفيد هؤلاء الطلبة بمنح، يستعينون بها على التعلّم، وعلى الإنفاق على عيالهم. هذا النظام من التعليم لا يمكنهم من الحصول على وظيفة رسمية في جهاز الدولة؛ بالرغم من أن وزارة التربية هي التي تضع البرامج، وتعيّن الأساتذة، وتسدد مرتباتهم.

٢ - تعليم رسمي، كما هو الشأن في كلّ الدول. وينقسم إلى ثلاث مراحل: الابتدائي والإعدادي والثانوي. وهو كذلك متكفل به من طرف الدولة، في كلّ

متطلّباته. ولكنّ التعليم الديني أقلّ حظاً في البرامج من التعليم الأوّل. وأهل عمان في تلك الفترة كانوا متشبّثين بالتعليم الأوّل؛ لما رأوا فيه من كثافة الحصص الدنيّة وتنوّعها، ومن الدّروس الأخلاقيّة التي لها الأولويّة في تكوين الرّجل العمانيّ الأصيل في نظرهم.

وقد لاحظنا نوعاً من القلق في الطّلبة المتخرّجين من المساجد؛ بسبب الصّعوبات التي يتلقّونها في الاندماج في الحياة العمليّة بعمان، وخاصّة في الوظائف الرّسميّة.

من هذا المنطلق كلّفنا (أنا وزميلي) باقتراح عمل يوفّق بين التّعليمين، ويضمن تساوي الفرص أمام المتعلّمين الشّباب، والحصول على الشّهادات المعترف بها، وعلى مناصب العمل، وعلى المنح إلى الخارج.

وقد عكفت (أنا وزميلي) على العمل في هذا الاتجاه، وبعد الاتّصال بالمشايخ والمتعلّمين والأولياء، تقدّمنا باقتراح مشروع خطّة توفيقيّة بين التّعليمين، يكون تنفيذه على المدى القصير والمتوسّط. وبعد طبعه، وفي جلسة عمل مع وكيل وزارة التّربية الوطنيّة والمعارف، قدّمنا له مشروعنا الذي تصفّحه، واستمع منّا إلى خلاصة منه، عبّر لنا عن إعجابه، وشكرنا على المجهودات المبذولة، ووعدنا بدراسته على مستوى أعلى. لكن بكلّ أسف لم تُراجع في الموضوع، ولم يظهر للمشروع أثر للتنفيذ في الفترة التي قضيناها في عمان.

بعد أيام تمّ تعييننا بصفة خبراء في التّربية الإسلاميّة (أي مفتّشين) للسّنة الدّراسيّة: (١٩٧٧ - ١٩٧٨ م)، وعملنا بهذه الصّفة كموظّفين عاديين، مثل

المتعاقدين الأجانب، وتمّ تعييننا للموسم الدراسي (١٩٧٨ - ١٩٧٩ م) في إدارة المعهد الإسلامي بـ (الوطنية)، ولكن لظروف خاصّة انقطعت، ولم ألتحق بعمان في السّنة الدّراسيّة (١٩٧٨ - ١٩٧٩ م)، وواصل زميلي العمل في عمان، في تلك السّنة كمدير للمعهد الإسلامي، ثمّ انقطع في نهاية الموسم الدّراسي وكان من أسباب الانقطاع هو الإحباط؛ بسبب عدم تحقيق الهدف الذي كان يصبو إليه المشايخ هناك، وكنا ذهبنا من أجله .

عمر بن بابه بيّوض



الملحق رقم : (٥)

تقرير عن وادي ميزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمدده سبحانه بما هو أهل، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد فهذا تقرير مختصر أتحدث فيه عن مدى استفادتنا من الرحلة إلى جمهورية الجزائر العربية الشقيقة؛ بهدف حفظ القرآن الكريم، وقد أنعم الله عليّ باستظهاره في التاسع من محرم الحرام من عام ١٤١١هـ، يوم الثلاثاء لثالث مرة، وهي الأخيرة ... فأقول :

- حفظ القرآن

كلّنا يعرف مكانة القرآن الكريم في قلوب المسلمين، ومن ذا الذي يجهل منزلة هذا الكتاب الربّاني الخالد، الذي هو معجزة الحقّ للخلق، والمُنزّل على قلب خير البشر، عليه أفضل الصّلاة والسّلام، كما بهرت آياته الاعتبارين، وقهرت حججه المعاندين، ولو أنّ الإنس والجنّ اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. إنّ من يتأمّله بعين التدبّر والتّفهم، لا يجد فيه اعوجاجا ولا تعسّفا في القول، ولا يصعب عليه فهمه؛ لسلامة التعبير فيه، بل يجد نفسه تعيش عالما من الغبطة؛ لما أعدّ الله لعباده المتّقين، وتعيش عالما من الحزن، عندما تتلو آيات توعدّ الكافرين، وتعيش مع الأنبياء في سيرهم العطرة، وتشاهد عظمة الخالق في كلّ ما خلق، وقدرته وحكمته في كلّ ما صنع.

إنَّ خصائص القرآن لا يمكن أن يحويها سفر ولا كتاب، يكفي من خصائصه وصفاته تلك التراكيب العجيبة في التنظيم، بحيث لو غيّرت كلمة عن مكانها أو حرفاً عن محلّه لانتثر العقد، واختلّ النظم، ولهذا كان هذا الكتاب الخالد أعزّ من كلّ كتاب، وأوّل ما يبدأ الطّفل المسلم بحفظه وحمله بين جوانحه، إذ به يتقوّم اللّسان، كما يستقيم ما في الصّدر والجنان، وكم نجد الاقتباس من كلماته في كثير من كلام فصحاء العرب وخطبائهم، حتّى إنّ الخطبة كانت إذا خلّت من آيات القرآن الكريم تسمّى شوهاً، لذلك كان حفظ هذا الكتاب الخالد في صدر المسلم أمانة يتمناها، وهدفًا يسعى إليه، إذ أنّه يعلم أنّ حفظ القرآن الكريم من الوسائل والسّبل الموصلة إلى الفلاح في الدّنيا، ورضوان الله في الآخرة.

وقد يتساءل القارئ : ما الذي جعلني لا اختار بلداً غير بلاد الجزائر، أحفظ فيها القرآن ؟

الجواب : إنّها بلاد عرفنا اهتمام الإباضية فيها بتحفيظ القرآن الكريم على طرق سليمة، وأسس مستقيمة، يعيش بينهم حافظ القرآن بيئة القرآن. فربّما تجد في بعض الدّول الإسلامية أمكنة لحفظ القرآن مع جماعة من المشائخ والتلاميذ، إلّا أنّك لا تعيش معهم ذلك المجتمع، الذي تعيشه في وادي ميزاب، إذ أنّك تعيش في وادي ميزاب وأنت تحفظ القرآن مجتمع القرآن، وتجد أناساً كثيرين هم مصاحف، تمشي على الأرض، فكأنّما أنت هناك بين قواعد تحفظها، ثمّ تطبّقها عملياً، يجعلها أشدّ رسوخاً في سلوك النّفس، بعدما رسخت في جوانح الفؤاد. ومع كلّ هذا فقد لاحظنا من سبقنا من الإخوة إلى حفظ القرآن في هذه البلاد، يثني عليها

ثناء جميلا، ففقدنا النية على زيارتها، وكان ذلك دافعا إلى محاولة السفر إليها.

وأما عن كيفية حفظ القرآن في هذه البلاد وكيفية تحفيظه، فقد وجدنا الطلبة من قرى وادي ميزاب، يتوافدون إلى معهد الحياة في فترة الإجازة الصيفيّة، فيجتمعون فيه، لهم فيه المسكن والمأكل والمشرّب، يجمعهم النظام والهدف المشترك، وتحدّ وهم الرغبة العارمة في استظهار القرآن الكريم. نجدهم يحفظون القرآن في المسجد (المصلّى)، يدؤّون من صلاة الفجر إلى قبيل الظهر، فيقبلون ثم يتغدّون (يأكلون الغداء)، ثم يعودون إلى حفظ القرآن حتّى موعد العشاء، ثم يتوقّف عملهم في العاشرة ليلا، فيأخذون قسطهم من نوم اللّيل. ويساعدهم بالاستظهار والمراجعة أثناء فترة الحفظ طلبة عرفاء، أي نواب عن الشيخ، الذي يُعرّض عليه العرضة الأخيرة، يحفظون القرآن ويساعدون الطلبة في الاستذكار والمراجعة والاستظهار. وقد تبرّع أحد هؤلاء العرفاء فأقام معنا في البيت الذي هبّ لنا؛ كي نحفظ فيه، حتّى نراجع عنده ما نحفظه يوميّا. وعندما ينتهي الطالب من خمسة وعشرين جزءا أو القرآن كاملا، يبدأ عرضه على الشيخ في المسجد ثلاث مرّات غالبا. وقد استظهرت أنا عند الشيخ " كرشوش محمد " مرّتين، الأولى كانت سبعة أجزاء، بعد صلاة العصر إلى قبيل صلاة المغرب، فاستظهرته في أربعة أيّام. والثانية كانت سبعة أجزاء، أو ثمانية، من بعد صلاة الفجر إلى قرب شروق الشّمس، وكذلك بعد صلاة العصر، فاستظهرته خلال يومين. ثمّ عرضت القرآن العرضة الأخيرة من بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر عند الشيخ " الحاج داود أحجوجّه)، من هيئة العزّابة. وكثير من الطلبة ينتهون من استظهاره في السّاعة العاشرة والتّصف

صباحا. أما أنا فقد استطعت أن أصل إلى سورة الشورى من الجزء الخامس والعشرين، ثم أذن المؤذن لصلاة الظهر، فأكملت ما تبقى بعد صلاة العصر. وبذلك صرت حافظا عندهم وعند نفسي. ذلك أن الطالب يحس بمقدار تمكنه في الحفظ، عندما يعرضه المرّة تلو المرّة على شيخه. وإذا قال له الشيخ: حفظك جيد، فكأنما السموات والأرض على رحابتها لا تسع فرحته. وكان بودّي - والله - لو تركني الشيخ، ولولا شدة حيائي أن أقوم فأقبل رأسه، عقب فترة الاستظهار، وكم تكون فرحة مدارس القرآن بأكملها عندما ينتهي الطالب من حفظ القرآن، فنجد أن الطلبة الذين يستظهرون القرآن يحضرون أكثر من حفل لتكريمهم، ويلبسون لباسا خاصا بهم، ويُسمح لهم في دخول حلقة " إيوان " لحفظ القرآن الكريم.

نما لاحظنا سرعتهم في قراءة القرآن، سرعة لا مثيل لها، خاصة الطلبة الذين يحاولون حفظ القرآن، ربّما ليكسبوا الوقت، أو ليكون حفظهم أكثر تركيزا. و هذا في حدّ ذاته صحيح إذ أن الطالب بتلك السرعة يستطيع عند المراجعة أن يسترجع سبعة أجزاء وأكثر في اليوم. ولقد كان من نصائح المشايخ للطلبة، بعد حفظهم القرآن أن يراجعوا منه سبعة أجزاء كلّ يوم على الأقلّ، فلو كان الطالب بطيئا في قراءته لرّبما داخل نفسه الوهن وعدم المقدرة.

- التعرّف على المجتمع الميزابي

يقع وادي ميزاب في الجنوب الشرقي من الجزائر، يتخلّل هذا الوادي خمس قرى متجاورة : غرداية (مقرّ الولاية)، بني يسجن، العطف، بنورة، مليكة. وعلى مقربة منها في جهة الشمال تقع قرية (بريان)، تتلوها القرية

التي أقمنا فيها قرابة شهرين وثلاثة أسابيع (القرارة). أما باقي القرى فقد تحولنا فيها الأسبوع الأخير، ماعدا بريان.

بيوت القرى الميزابية متصلة بعضها ببعض، تبنى من الجص غالبا، وهي في أكثرها لا تتعدى الطابق الواحد. ويكون أسفلها دهليز، ينفع للإقامة فيه صيفا وشتاء، وتتخلل البيوت طرق وسكك، تؤدى جميعها إلى الجامع، فلا ترتفع بك حتى توصلك إلى المسجد، الذي يتوسط كل قرية. وفي الغالب تبنى هذه القرى على تل مرتفع، يعلو ذروته المسجد، ثم تقبض من على جوانبه سلسلة البيوت المتصلة من حوله، ويحيط بالقرية سور له أربعة أبراج للحراسة والمراقبة.

مصادر الدخل من التجارة والزراعة والصناعة، وكثير من الشباب في المؤسسات الحكومية وإقبالهم هذا على الوظائف أثر على عائدات الجانب الزراعي؛ لانشغالهم عنه. ومن الميزابيين من هو متخصص في العلوم الحديثة، وعلى مستوى راق فيها.

والميزابيون قليلون في العدد، لكنهم كثيرون في الأعمال، ولهذا يستكثرهم من يجهل حالهم؛ لأنهم يوجدون في كل عمل، وفي كل مكان، حتى إن البعض يقول عنهم: لو ذهبنا إلى القمر لوجدنا الميزابيين وقد بنوا مسجدا ومقبرة!! وهم لا يتجاوزون المائتين والخمسين ألف نسمة تقريبا.

يعيش الناس متآلفين متحابين، يتعاونون فيما بينهم، متكافلين بشكل يحفظ المجتمع من مظاهر البؤس والشقاء، أخلاقهم حسنة، وخلالهم حميدة، يعطف الكبير على الصغير، ويوقر الصغير الكبير، بسطاء في مظاهرهم، لا تكاد تميز ذا الثراء من ذي المسكنة، ويقف الناس جميعا بين

يدي خالقهم خمس مرّات محافظين على الجماعة في مساجدهم، يكبرون
تكبيرة واحدة، بصوت مسموع، تمتاز له أركان المسجد...
والحقّ إني لم أحسّ بوجود أمة بينهم، على ما رأيته من كثرة
اجتماعهم ونشاط المشائخ منهم في التوعية والتوجيه، في جميع شؤون
الحياة. حدّثناه منهم، سواء الغنيّ أم الفقير، وجدنا عنده قدرًا لا



٦ - وكيلاً المسجد.

٧ - قاضي البلد.

يختار أعضاء هذه الحلقة زاوية في المسجد يقيمون بها لأجل العبادة وقراءة العلم ودراسته، ولهم دار خاصة بجانب المسجد، يعقدون فيها جميع اجتماعاتهم، لا يدخلها أحد غيرهم.

وهذا النظام في كل قرية من قرى وادي ميزاب، ولكن قد تقع بعض المشاكل التي تحتاج في حلها أن تتعاون جميع جهود مشائخ القرى الميزابية؛ لذلك رأى أهل هذه القرى أن يكونوا مجلساً أعلى، ينعقد في أماكن معينة ولأسباب معينة. يقول عنه الشيخ أبو البقطان: " هو مجلس أعلى يتألف من كبار عزابة قصور ميزاب وعلمائه، تنعقد جلساته الدورية في أوقات، تختلف حسب مقتضيات الحال، في ما بين خمسة عشر يوماً، وما بين ثلاثة أشهر في أماكن ثلاث:

١ - روضة أبي مهدي عيسى بن إسماعيل بمليكة.

٢ - روضة بآب عبد الرحمن الكرني بمليكة.

٣ - روضة عمي سعيد بن علي الخيري الجربي في غرداية.

وينسب المجلس لكل مكان ينعقد فيه. وهو مجلس واحد، لا متعدد، له نظامه الخاص. ولكثرة اجتماع أعضائه في روضة عمي سعيد الجربي، غلب على هذا المجلس اسم مجلس عمي سعيد.

ويقول الأستاذ عبد الرحمن بكلي في هذا الشأن: " كان لمجلس عمي سعيد

مظهران :

١ - كان محكمة استئناف، يتركب أعضاؤها من سبعة علماء، على نسبة عالم من كل قرية من قرى ميزاب، تعينهم هيئتها الدينية، وتختارهم ممن انتهت

إليهم رئاسة العلم في قراهم، ترفع إليها أحكام قضاة ميزاب، فتصدر فيها حكمها النهائي.

٢ - كان مجلسا وطنيا، يث في قضايا الأمة، ويصدر اتفاقيات، تتناول مناحي الحياة فيها، تشريعية كانت أو اجتماعية أو زجرية أو سياسية، تعتبر كقوانين نافذة المفعول، تتولى تنفيذها السلطة الحاكمة في كل قرية من قرى ميزاب.

ولنظام العزابة اهتمام بالناحية الاقتصادية في إشرافه على الأسواق ومعاملات الناس فيما بينهم، ويعتنون كل يوم جماعة من شباب المدينة، يجرسونها بالتناوب، ولا يعقد زواج إلا على يد الإمام من مشايخ العزابة. وبهذا يكون كل زواج تحت إشرافهم، بحيث لا يدخله ما يخالف الشريعة.

- نشاط الموجهين فيه

الحق إن هذا النظام لم يكن ليبقى لولا عناية الله سبحانه، بتهيئة من يقوم به من المشايخ والعلماء العاملين، ولقد كنا ونحن هناك نحس بمتانة الرابطة وإخلاص الولاء من قبل جميع الناس لهذا النظام، ونرى المكانة التي يتبوؤها أعضاؤه في قلوب الناس، سواء من الكبار أم الصغار، وذلك لقيام رجاله بالأعباء المناطة بهم على أحسن الوجوه.

إن الربط المعنوي بين الشباب والشيوخ في المجتمع يجعل سلسلة البناء تقوم على أسس متينة وقواعد ثابتة، فيقوم الحاضر على صرح الماضي، دون هدمه، ثم محاولة تعميره من جديد، كما هو الحال في كثير من المجتمعات الإسلامية في عصرنا الحاضر، بينما نجد الرباط المعنوي أساس كل بناء في مجتمع وادي ميزاب. وشباب الحاضر هم امتداد لحياة المشايخ الذين قاموا بدورهم على أكمل وجه، ثم أعطوا ثمرة جهودهم لخلفاءهم من أبناء المستقبل وبناته.

وعلى هذا فلم يهمل المشائخ في وادي ميزاب جانب الشباب، وهم الجليل الصاعد، بل ربّوه التربية الإسلامية، ولم يألوا جهداً في تغليلهم بالموعظة كلّما لاحت الفرصة السانحة، وما أكثر الفرص لو فقهن وتفطننا إليها في كلّ مجتمع، يُراد له أن يعيش تحت ظلّ الإسلام، ولكن ما أقلّ من ينتهزها للصالح العام !

ونحن رأينا اللقاءات الكثيرة التي يلتقي فيها الشباب بالشيخ، ويفسح المجال فيها لإيراد كلّ ما يدور بخواطر الشباب، ولا يجدون ما يشفي غليلهم فيه إلّا حكمة المشائخ الذين جمعوا مع تجارب الحياة حظاً وافراً من العلم، وتلك اللقاءات منها الدورية، ومنها ما تقام عند مناسبات الزواج والجنائز والحفلات العامة.

- الاهتمام بالجانب التسوي والطفل

قال لي أحد الميزابيين : إنّ زوجة الميزابي تكون معه في كلّ محاضرة، يستمع إليها، وفي كلّ مجلس يجلس فيه، ولم أستغرب ذلك، ولم يقع في خلدي أبداً أن من كان شأنه تطبيق تعاليم الإسلام ينسى جانب المرأة، وهو جانب حسّاس في المجتمع.

ولقد أشرت فيما سبق أنّ هيئة العزّابة خصّصت للنساء هيئة نسائية تعرف باسم " الغسّالات "، وتكون هذه الهيئة خاضعة لمجلس العزّابة، ويشترط في أفرادها أن يكنّ من الورعات الخيرات العاملات بأحكام الله، الممثلات لأوامره المنتهيات عن نواهيه، وكذلك متقدّمات في السنّ. وأطلق عليهنّ هذا الاسم لأنهنّ الرقييات على جميع أحوال المرأة من حيث العبادات والتعامل، وهنّ اللّاتي يربطن بين مجلس العزّابة والوسط

النسائي، وعليهن أن يراقبن الأعراس ويتبعن سير النساء، فإن لاحظن عصيانا وتنطعا، يُلغْنَ الأمر إلى هيئة العزابة، وهي تتولى النظر في الحكم. ولقد رأينا بيتا تدخله النساء وتخرج منه مرّات متكرّرة، وهو ملتصق بالمسجد، فتيقنا أنّهن إنما يدخلن الجانب المخصّص لهنّ في المسجد، لا ذلك البيت، وكذلك أخبرنا.

والنساء ملتزمات بالزّي الإسلامي، الذي لا يظهر من المرأة إلّا عينها اليسرى. ولباسهنّ البياض، ولهنّ التعلّم في مدارس حرّة، بناها أهل كلّ قرية بنفقاتهم الخاصة، حتّى الفصل الأوّل الإعدادي، ثمّ يتزوجن فيشغلن بأعباء البيت، وتنتهي دراستهنّ غالبا إلّا حفظ القرآن، إذا لم يكن يحفظنه، فمنهن من تكمل حفظه بعد الدّراسة.

أمّا فيما يتعلّق بالطفّل فإنّه يلقن منذ نعومة أظفاره مبادئ الإسلام. وما إن تحمله رجلاه حتّى يعود على الذهاب إلى المحاضر (الكتاتيب) في المسجد مع إخوانه، فنجد الاثنين والثلاثة والأربعة، يأخذ بعضهم بأيدي بعض، يدخلون المسجد، حتّى إنّنا نزدحم معهم في باب المسجد، بعد صلاة المغرب وهم يدخلون. وما مررنا على صبيّ من صبيّانهم إلّا وحيانا بتحية الإسلام.

ويحفظ الطّفّل القرآن في المسجد كما ذكرنا، وبين جدران البيوت، فيبدأ خلال أربع سنوات مقسّمة. بعد سنّ الخامسة غالبا يبدأ بسورة الناس إلى سورة البلد في السنّة الأولى تلقينا، ثمّ من سورة البلد إلى سورة القيامة في سنته الثّانية تلقينا أيضا، ثمّ إن استطاع واصل الحفظ بنفسه مع مطالبة بالاستظهار في السنّة الثالثة والرّابعة، حتّى ينتهي من سورة البقرة، ثمّ

يستظهر القرآن رجوعاً من سورة البقرة إلى سورة الناس ، وغالباً ما نجد أن من كان في الثامنة أو التاسعة إلى الثانية عشر قد استظهروا القرآن. من أمثلة اهتمامهم بالطفل أنهم لا يعطونه شيئاً من النقود مهما قلت حتى لا تتعود نفسه على الحبّ الأعمى للمال، وحتى لا يصرف النقود في غير الأمور النافعة، وبجانب هذا يعودونه على الإعطاء وحبّ الإنفاق، فقد حضرنا حفلاً كبيراً في مدرسة الحياة لتكريم التاجحين فيها، وتكريم حفظة القرآن الكريم، وتمّ بعد نهاية الحفلا جمع تبرّعات المواطنين فكنا نرى النساء يسقطن النقود من فوق سطح المدرسة، ومنهنّ من ترسل أبنائها، يحمل تبرّعاتها، فكنا نرى الطفل الصغير، بمدّ يده للنقود ليعطيها شيخ المجلس الأعلى، حتى تكون تربية له منذ سنته الأولى على الإنفاق، ويتعود على الإعطاء. وهذا الوعي يكاد يكون شاملاً في هذا الجانب عند جميع الناس؛ إذ أنهم تعودوا على الإنفاق في وجوه الخير، فكيف لا يورثون ذلك أبنائهم؟

- مشاركتنا المتواضعة

أذكر أننا لما دخلنا معهد الحياة قابلنا الشيخ صالح بن أحمد حدبون وراء طاولة مكتبه، يملأ المكان بصوته المجلجل، ويهيج النفس بوجهه المتهلّل، قال لنا وهو يدق الطاولة بيده، المكان جاهز، النقود موجودة، الكل جاهز، كلّ شيء تام، ما عليكم إلّا أن تبدؤوا..

والحقّ إنهم ما تركوا لنا شيئاً نحتاجه إلّا وجهّزونا به، ولقد كان الشيخ صالح حدبون يتفقّدنا بنفسه، يسأل عن احتياجاتنا، ويظهر دائماً أسفه في التقصير في إكرامنا، وقد تبرّعوا لنا بيت تابع لإحدى بيوت

العشائر الكبيرة نقيم فيه، وفتحوا لنا أبواب بيت العشيرة بأكمله لنحفظ القرآن في أيّ مكان فيه، وسُمح لنا مع ذلك أن ننام على سطحه.

وبيوت العشائر هذه تُبنى بنفقات المحسنين يجتمع فيها الناس للولائم والعزائم واللقاءات الثقافية الفكرية، وهي مكان لإقامة الأعراس، وأغلبها على طابقين، هما قاعتان كبيرتان، يتصل بهما مطبخ ومخزن، وربما مكتبة أيضا. وقد حضرنا شيئا من أعراسهم وولائمهم فيها.

أمام ذلك الذي قدّموه لنا؛ تسهيلات لحفظنا، حاولنا أن نساعدهم بما لدينا من تقود؛ كلما سنحت لنا الفرصة، دون أن يشعروا؛ بشراء ما نحتاجه في غذائنا، وذلك في الحقيقة لا يساوي شيئا أمام فيض جودهم، وبحر عطائهم.

كانت لنا مشاركة في حفلة (إيروان) لتكريم حفظة القرآن الكريم في معهد الحياة؛ حيث ألقى صاحبي قصيدة طويلة لصالح بن أحمد البوسعيدى، أحد الطالبين اللذين سبقنا إلى حفظ القرآن في القرارة، في السنة الماضية، يذكر فيها سلامه الحارّ وتحياته الطيبة، وشدة شوقه إلى وادي ميزاب، ثم ألقى في ذلك الحفل الكريم أحد عشر بيتا، وهي بضاعتي المزرعة:

أهاجك ذكر البان أم معهد الصبا

وهل بعث الأبيات ريح من الصبا

وكيف هدي التفكير ينظم ما أبى

من الشعر، كان الشعر من قبل أصعبا

لحزن عميق أم لشوق مبرح

نظمت، وهل شيء أسر وأطربا؟

نعم هاجني ثم استباني متيما
 حديث له يستمطر الغيث أسجبا
 سيجعلني ما بين ذي الأرض والسما
 أطيّر بإحدى الطائرات مغربا
 أزور بني ميزاب أسعى إلى السما
 لأطرق باب العلم والتور والأبنا
 إليكم بني ميزاب مني تحية
 أنوب بها عمّن نأى وتغيّبا
 فقد خلّفت نفسي إليكم أحبة
 بماجان هم أهلون ؛ دينا ومذهبا
 لحبكم في أفندقم أكنة
 أسرهم ما قيل عنكم وأعجبا
 عليكم سلام الله ما كتب البقا
 وما غرّد الأطيّار لحنا محبّا
 ودام اجتماع لا يُفصّ ولا يُرى
 أهاليه حسّادا ، ولا نوره خبا

وهذا مطلع قصيدة قلتها عن معهد الحياة وطلبتة :

لله درّ أحبة في معهد ——— برى القرارة للهداية جاؤوا
 جمعهم الآمال والأشواق في ——— نهج فهم للأنبيا خلفاء
 عطشوا فلم يجدوا لورد أن سوى ——— ورد الكتاب لهم وأروى الماء
 هذا وقد حضرنا عددا من أعراسهم التي يكون العرس الواحد فيها لسة او
 سبعة من العرسان، وربّما عشرة. ويقام العرس في إحدى بيوت العشائر التي

بنوها بنفقات المحسنين فإذا أراد أحد الناس أن يزوّج ابنه أخر حفل زفافه إلى يوم محدد، حتى يجتمع معه عدد لا بأس فيه، وتكون نفقة ذلك العرس على أيسرهم حالا.

ومما رأيناه في أعراسهم أنهم يتجنبون آلات اللّهُو والغناء والمعازف، ويستعيضون عنها بالأناشيد الإسلامية، التي تقوم بتأديتها فرق أعدوها لجميع الحفلات من الشباب وصغار السنّ في مجموعات مختلفة، بأنغام متفاوتة في الحسن والأداء. وكم نال هذا إعجابنا الشديد، وكم كنّا نتمنى أن لو استعيض في جميع أعراس المسلمين عمّا يفعلونه الآن بمثل تلك الأناشيد الإسلامية التي تؤدّيها الفرق الصوتيّة بأنغامها الشّادية، ولا أظنّ أنّ ذلك يكلف كثيرا.

وكانت لنا عدّة لقاءات بالمشائخ في القرارة وبعض قرى وادي ميزاب، وتعرّفنا فيها على عدد من طلبتهم، رأينا فيهم الجِدّ والإخلاص، وجرت بيننا وبينهم كثير من المناقشات، تدور أكثرها حول العلاقات بين إباضية المشرق وإباضية المغرب ووضعها الرّاهن، وعن الأوضاع المتطوّرة في كلّ المجالات، التي تشهدها السّلطنة ودولة الجزائر الشّقيقة. وما أكثر ما يُعلن من شأن السّلطنة ونخصتها الحالية، على يد السّلطان قابوس بن سعيد المعظّم، الذي أحيا فيها معاهد العلم، وجمعها بركاب الأمم. وكنّا لقلّة زادنا ومعلوماتنا أكثر ما نكون في موقف السّائل لا المسؤول؛ تطبقا لمبدأ إذا أردت الدّفاع فابدأ بالهجوم !!!

الخلاصة

الاهتمام بتحفظ القرآن الكريم وتعليمه واجب، يجب العناية بتطبيقه، وتخرج الشباب في جميع مجالات العلم، لا في مجال الشريعة وحده. وهم حفاظ للقرآن الكريم، عائد نفعه إلى الفرد والمجتمع والأمة، ومهياً لعودة إلى الإسلام عودة حميدة، إن كنا نريد تطبيق تشريعات وتعاليم هذا الدين، فما أجدنا أن نكون حملة لدستوره. وإن هيءَ لذلك مجتمع القرآن، ونبذل في ذلك ما نستطيع من جهد، وكفى عارا أن يحفظ القرآن أعداؤه في صدورهم ليشيروا الشبه ضده في أوساط المسلمين وينسأه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وكأنما هذا الكتاب لم يزل عليهم، بل كأنما يشكون في نسبه إلى خالقهم.

إن ما يكلف به الطالب في المدارس النظامية العمانية ليحفظه من القرآن شيء قليل، إذا ما قيس بما يحفظه ابن الثامنة أو التاسعة في وادي ميزاب. والمدارس القرآنية في السلطنة قليلة، ثم من يعهد إليهم فيها بتدريس القرآن لا يؤدون مسؤوليتهم على أكمل وجه، بل منهم من هو باق على عادة قديمة في تعليم الطالب قراءة القرآن، ثم لا يطالبه بشيء من الحفظ، هذا مع أنني وجدت الميزابين يمدحون الحافظة العمانية، ويعلون من شأنها الشيء الكثير.

وإن من تمام نجاح هذا العمل في المدارس القرآنية إقامة المسابقات بين حفاظ القرآن الكريم؛ تحفيزاً لهم وحثاً على استكمال حفظ القرآن.

يحمل القول إن الإمكانات متوفرة لتحفيظ القرآن الكريم في السلطنة، ووزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية تستطيع بتوليئتها الاهتمام المرجو في هذا الجانب أن تخرج أجيال القرآن، وأن تخدم الإسلام والمسلمين خدمة جليلة، كما هو واجبها المناط بها، ولا ينقصها ولا يقف في طريقها عائق مادي أو

غيره. فلم لا تنشئ المدارس القرآنية، وتبعث لها من هم جديرون بثقتها؛ على خطة هادفة وبرنامج مكتمل؟

الطالب : عبد الله بن علي بن سالم الرويشدي

معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد

سلطنة عمان، روي في : ٢٢/٣/١٤١١هـ

١٢/١٠/١٩٩٠م



الملحق رقم : (٦)

انطباع عام عن وادي ميزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاسم : صالح بن أحمد بن سيف البوسعيدي .

السن : ١٩ سنة .

العنوان : سلطنة عمان، ولاية المضبي، بلد الشريعة .

الحمد لله ربّ العالمين، علّم القرآن، وخلق الإنسان، علّمه البيان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نور الهدى وسراج الدجى، محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لنهجهم، والمهتدين بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد كنت وأنا في سلطنة عمان أسمع عن وادي ميزاب، وما فيه من النهضة العلمية من الطلبة الميزابيين الموجودين بعمان؛ فتناقت نفسي إلى رؤية هذا المجتمع الذي انعدم نظيره، فعقدت العزم على المجيء إلى هنا لاستظهار القرآن الكريم مع أحد الإخوة، وهو الأخ عيسى بن صالح بن سعيد البوسعيدي. وعندما وصلنا إلى هنا وجدنا ما كنّا نسمعه قليلا، بجنب ما رأيناه بأعيننا، فقد وجدنا الناس مهتمّين بحفظ كتاب الله اهتماما كبيرا . فبينما نجد طلبة المدارس في غير هذا الوادي يجدون العطلة الصيفية فرصة كبيرة للهو واللعب والسفر وغير ذلك من مغريات الحياة، نجد طلبة وادي ميزاب يجدونها فرصة لا تعوّض لاستغلالها في حفظ كتاب الله العزيز، وهذا كان أكبر الحوافز التي شجّعتنا على حفظ كتاب الله، فشحنّا هممنا وعقدنا العزم على حفظ كتاب الله. فكان لنا ما أردناه ولله الحمد والمثنة والفضل أولا، والمسؤولين على البعثة ثانيا، فقد كان لهم دور كبير في استظهارنا للقرآن الكريم، فقد أحاطونا بعنايتهم منذ أن نزلنا عندهم، وهيئوا

لنا الجوّ المناسب للحفظ والمراجعة، ووفّروا لنا من الرّاحة ما تعجز ألسنتنا عن شكره، فجزاهم الله خير الجزاء.

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم . سبحان ربّ العزّة
عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين. والسّلام عليكم
ورحمة الله وبركاته.

— ١٤٠٩/١٢/٠٤ هـ

١٩٨٩/٠٧/٠٧ م



الملحق رقم : (٧)

قصيدة شعرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قلت هذه القصيدة في حفلة (إيروان) التي أقيمت في بلدة القرارة بوادي
ميزاب في يوم ١٩٩٠/٠٦/٠١ م ؛ تكريما لحفظة القرآن الكريم للعام الدراسي :
١٩٨٩/١٩٩٠ م . وقد أرسلتها مع الطلبة الميزابيين الدارسين بمعهد القضاء
الشرعي والوعظ والإرشاد؛ لتلقى في تلك الحفلة :

تذكر أيام أهاج فؤادِيَا

فأصبح من فرط التذكر باليا

تذكرت أياما تولت وادبرت

ولكن شذاها لا يزال بباليَا

بخير مكان حلّه خير معشر

فيا حبذا الاثنان حين تلاقِيَا

أقول لوادٍ بالجزائر ساكنٍ

ألا أيها الوادي تساميت واديا

دعوتك بالهمز المفرب فترة

وبعد رحيلي عنك صار النّدا بي " يا "

جمعت من الأفضال ما لا أعدّه

وحزت من الخيرات ما لست حاصيا

جمعت رجالا أتقياء جميعهم

يريد بأن يعلو السّماكين راقيا

يدعون للرحمن ذكرا لأنهم
رأوا كل شيء ما خلا الله فانيا
لقد بذلوا في نصرة الله أنفسا
عزيزا عليها أن ترى الدين واهيا
وذّبوا عن الإسلام بالقول والقنا
فأصبح فيهم منهل الدين صافيا
بهم صار دين المارقين بذلة
ومذهب أهل الاستقامة عاليا
أباهي بهم في كل ناد ومجلس
ومالي لا أغدو بهم متباهيا
وقد بلغوا شأو المعالي بعزمهم
ونالوا من الأجداد ما كان نائيا
سلام بني ميزاب مني إليكم
أتى من عمان الجند للأرض طاويا
سلام محبة ليس ينسى جميلكم
يمني لقاءكم لو ينال الأمانيا
وما أنا بالموفي ولا عشر حقكم
فإن رمت هذا كان صعبا مراميا
وأفرد بالذكر الجميل ثلاثة
عليهم دين له لست قاضيا
هم الشيخ حذبون ويوسف مصطفى
وبومعقل ، لست الثلاثة ناسيا

ويا إخواني في الاحتفال إليكم
أحلّ تبليغ التهاني القوافي—
فإن لم أكن بينكم متواجدا
فقد ناب عني في الحضور كلامي
هنيئا لكم حفظ الكتاب كرامة
ويا حبذا صدر غدا التور حاويا
تفانوا به واسترجعوه فإله
لكرّ ثمين ، يستحقّ التفاني—
وصلّى إلهي مثل أحرف آية
على المصطفى المبعوث للناس هاديا
وأصحابه الغرّ الكرام وآله
ومن لهم في الخير قد جاء تاليا

صالح بن أحمد بن سيف البوسعيدي
مسقط في : ٢٧ من شوال ١٤١٠هـ

الملحق رقم : (٨)

رسالة اعتراف بالجميل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله علّم الإنسان ما لم يعلم، وأنزل كتابه محكما مفصّلا ميسّرا للذكر لمن أراد أن يذكر، والصلاة والسلام على سيّد الأُمّة وخيرها، محمد صلّى الله عليه وسلّم، دعا إلى حفظ القرآن وتعلّمه، فقال : خيركم من تعلّم القرآن وعلمه. أمّا بعد !

فقد أراد القدر أن ييسّر إلى زيارة بلدنا عمان مصابيح التور والقرآن، من طلبة وادي ميزاب، وهم : مسعود السماوي ومصطفى فخّار وبكير عبّاس، وهم الذين أثاروا في أنفسنا الرّغبة للمحيء إلى بلدهم، بلد الخير والصّلاح؛ لحفظ كتاب الله. فما كان ممّا إلّا أن شرعنا في النهوض في هذه المهمّة، والسّعي لتحقيقها. وقد يسرّ الله السّبل، وجازى كلّ من أدلى بدلوه بالخير، وكلّ مساعيه بالنّجاح دنيا وأخرى. ولم يكن في أذهاننا عند قدومنا إلى القرارة حفظ كلّ القرآن، بل كنّا ننوي حفظ البعض، ونتعلّم طريقة الحفظ، وشحذ الهمم، ونكمل المسيرة في بلدنا عمان، ولكن شاء الله وقدر، بتوفيق منه وعون أن ييسّر حفظ جميعه، وإن كنّا قد بدأنا المسيرة في بلدنا. والحمد لله لم تمض إلّا أيام قلائل وقد ألّهمنا حفظ جميعه، وبقيت الأمانة في أعناقنا للمحافظة عليه دوما، ونسأله تعالى أن يدخلنا قبورنا به، إنّه وليّ التوفيق.

ومّا ساعد في التّذليل لحفظ الكتاب الجليل هو الجهود التي قمتم بها أنتم؛ من هيئة المسكن والجوّ الملائم، وكلّ ما نعجز عن شكركم فيه. جزاكم المولى خير

الجزاء في الدنيا والآخرة ، وكلّل مساعيكم بالتوفيق والتجاح، ومدّ الله في
مسيرتكم، فـ :

سبحان من وفق قومنا للسّخا سخاؤهم في شدّة ولي رخا

قدّم هذا : عيسى بن صالح بن سعيد البوسعيدي
من طلبة معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد
سلطنة عمان ، يوم : ٠٤ / ١٢ / ١٤٠٩ هـ



الملحق رقم : (٩)

رسالة شكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شيخنا حذبون صالح، السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أحمد إليكم الله سبحانه وتعالى وأشكره وأثني عليه بما هو له أهل، وأسلم على أشرف المرسلين، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأزكى تسليم. لقد اشتقنا إلى رؤية وجوهكم، والتلذذ بسماع حديثكم، فما كانت مجالسنا معكم إلاّ مجالس القرآن، ولا أحاديثنا معكم إلاّ أحاديث الذّكر، وما ساعاتنا التي قضيناها معكم إلاّ درجات نرتقي بها درج الكمال.

إنّ أشياء كثيرة تمرّ بالإنسان في حياته الدّنيا يحفظ منها ما يحفظ، وينسى منها ما ينسى، ولكنّ الأشياء التي استفاد بها تجربة نافعة له في حياته تبقى ذكراها نصب عينيه، وملء دماغه وسعادة قلبه أينما حلّ وارتحل. نحن لم نستفد منكم تجربة نافعة لنا في الحياة الدّنيا فقط، إنّها سعادة أبدية، ومثّلة أخروية مع تجربة الحياة.

لقد كتبت في تقرير لي ، أعددت له هذه الرّحلة ما يلي: قد يتساءل القارئ: ما الذي جعلني لا أختار بلدا غير الجزائر أحفظ فيها القرآن؟

والجواب: إنّها بلاد عرفنا اهتمام الإباضية فيها بتحفيظ القرآن الكريم على طرق سليمة، وأسس مستقيمة، يعيش بينهم الحافظ للقرآن بيئة القرآن، فربّما تجد في بعض الدّول الإسلامية أمكنة لحفظ القرآن مع جماعة من المشايخ والتلاميذ، إلاّ أنّك لا تعيش معهم ذلك المجتمع الذي تعيشه في وادي ميزاب؛ إذ أنّك تعيش في وادي ميزاب - وأنّك تحفظ القرآن - بمجتمع القرآن، وتجد أناسا كثيرين هم مصاحف تمشي على الأرض، فكأنّما أنت هناك بين قواعد تحفظها، ثمّ تطبقها عملياً، يجعلها أشدّ رسوخا في سلوك التّفنن بعدما رسخت في جوانح الفؤاد.

ومع كلّ هذا فقد لاحظنا من سبقنا من الإخوة إلى حفظ القرآن في هذه البلاد
يشني عليها ثناء جميلا، ففقدنا النّية على زيارتها، وكان ذلك دافعا إلى محاولة السّفر
إليها..

الحقّ إنّ ذكركم لم يفارق مخيلتي منذ أن فارقناكم بالأجساد، وما زلنا نتلقى
الأسئلة بعد الأسئلة عن وادي ميزاب وعن أهل ميزاب، وما زلنا نضرب الأمثلة تلو
الأمثلة بوادي ميزاب في تكافل النّاس تحت ظلّ الإسلام، وقدرة الإسلام على أن
يكفل للنّاس حياتهم الدّنيا والأخرى، وآله جامع للدين والعلم...

النّاس يتلقّون أخباركم بشوق كشوق الظّمان إلى الماء الصّادي. فوجودكم
كمجتمع متكامل على نظام جامع موحد، تطبّقون تعاليم الدّين أصبح حلما في
زماننا الحاضر، وأمنيّة يتمناها كلّ مسلم، ولكّنتكم حقّقتم هذا الحلم، وأبرزتم
الأمنيّة إلى ظاهر الوجود.

إن أنسّ لا أنسّ أيام الجزائر؛ إذ كنت بين ربوعها سائحا وزائرا، لا سيّما ربوع
القرى الميزابية، وبالأخصّ قرية (القرارة)، وأجلدني كثير الشّوق إلى العودة
لزيارتها، فأرجو أن يكتب الله لي ذلك، ويحقّق هذه الرّغبة.

إن كنت أجد الموانع والشّواغل عن زيارتكم فأنتم أوفر منّي حظّا في اكتساب
أجر الزّيارة، وكم سمعتكم تتلهّفون على ذلك، فاسعوا - رحمكم الله - لتحقيق
تلك النّية : " إنّ المحبّ لمن يهواه زوّار"، وإن كنّا - والحال والواقع يصدّق ذلك -
قد تقاصرنا عن خطى الأسلاف إلّا من رحم ربّك، وقليل ما هم. الواقع بعيد عن
العصر الذي يقول فيه أبو مسلم الرّواحي - رحمه الله - :

تجذ أفعال أحرار الرجال	تفضل بالزيارة في عمان
وأحاب عزيزات المثال	تجذ ما شئت من عزم وفضل
لأجل الذين تُرخِصُ كلُّ غالي	تجذ هم الرجال مصمّات
خيول الله في حزب الضلال	تجذ ما قسّمته من المنايا
بلا شمس تضيء ولا هلال	تشاهد كيف حرف الضاد يعلو
وللباقين أخلاق الرجال	وتعرف أنّ في العرب البقايا
ستخضر الأسافل والأعالي	بأساف الغبراء المواضي
تُر الأفعال مصداق المقال	فإن شئت العيان فقم إلينا
فما عين الحقيقة كالخيال	ولا تحفل بما يهدون فيه

في آخر رسالتي هذه أذكر لكم أنني وأخي عليّ بعافية من الله وفضل، لا ينقصنا إلا رؤية وجوهكم، وسماع حديثكم وطيب المسامرة معكم. وعن قريب سيتزوج الأخ عليّ وسألحقه - إن شاء الله - في القفص الذهبي.

أعتذر إليكم عن تقصيري في الإسراع بالمراسلة، اللوم على عانقي، ولكّني أعلم أنني أعتذر إلى من رحب صدره، ووسع هفوات أبنائه وتقصيرهم.

إنّ جواد البيان ليكبو ويعثر، فها أنا أعصر دماغي لإخراج الكلمات من مظائنها التي استعصمت بها بين حبال التفكير والصمت والتشاؤب!!! لأنني أحسّ بالكسل. فادعوا المولى القدير أن يكتب لي لقاء بكم في الحياة، وعلى صفحات الأوراق. من يعرفني من آبائي وإخواني من الميزابين، ويسأل عني فسلّم عليه، جزاكم الله كلّ خير، وسدّد خطاكم في الخمر إلى يوم الدين. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يبلغكم السلام الحارّ شيخنا أبو معقل محمد الناصر الوارجلاني، وجميع الإخوة
الميزابين ، وإلى لقاء بإذنه تعالى.

من ابنكم : عبد الله بن عليّ بن سالم الرويشدي

معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد

رويّ يوم : ٢٠ من جمادى الأولى ١٤١١هـ

٠٨ من ديسمبر ١٩٩٠م

العنوان : سلطنة عمان ، ولاية بركاء



الملحق رقم : (١٠)

أخي في الله

مهداة إلى صديقي الشاعر الصديق العزيز، عبد الله بن حمدان الإسماعيلي، وإلى
كلِّ عماني جعلني أحبَّ عمان وأتخذها وطنًا ثانيًا.

لو كنت فارقت الديار مهاجرا
ما اخترت غيرك للشدائد والمحن
أو كنت في عمري عشقت سوى الوطن
لاخترت من أرض العقيدة لي سكن
أو كنت من زمن خرجت إلى زمن
للست من جبل الشموخ لي الكفن
الله يا أرضا هويت، تراها
أدب مصفى كالتسيم سرى فحن
يسري بنفسه ، كالضياء يلقني
ويرفأ بي في الأفق طيرا لي فن
عقب الأصالة في محيا وجهها
نور من التهر السخي طوى الفن
عيناك مثل التسر في أفق العلاء
ما اشتاق يوما في الحياة سوى الفن
وحديثك الأسنى من القرآن ، أتـ
رج ، تضوع بالمثاني والسـ

وتألق يسمو على فتن التعمص
صُب، يستقي من حوض أحمد ما افتتن
أنت الذي أدعو : أخي في الله، أس
تقي الكؤوس ، بها منى وبها منن
ضمخ ثراها بالإخساء محمد
يا عندما لدغى إلى يوم العلن
نجى على سرر الوفاء مخلد
من ، فلا مخاوف ، لا هموم ، ولا شجن
الوارف الساجي يُظِلُّ إخواننا
في الله كم سرنا على أرض الحزن
والكأس مترعة بسلسال الصفا
عسلا تصافيه تساييح المزن
وملائك حفت بنا ، تلقى السلام
تقول طبتم في الجنان لكم سكن

روي ، سحر يوم الإثنين : ٣٠ من ذي القعدة ١٤١٩هـ

٠٨ من مارس ١٩٩٩م

الدكتور محمد بن صالح ناصر

فهرست

تمهيد	٥
البدايات الأولى للتواصل الثقافي بين عمان والجزائر	١١
فضل عمان على المغرب الإسلامي	٢٠
الدعم المعنوي والمادي للدولة الرستمية	٢٣
اللقاءات والزيارات والرحلات	٣٢
أ- اللقاءات	٣٢
ب- الزيارات والرحلات المتبادلة	٣٥
تبادل الكتب	٤٨
التعاون في التأليف	٥٧
تبادل الرسائل	٦٤
صحافة أبي يقظان وعمان	٨١
الخاتمة	٩٣
الملاحق	٩٥
ملحق رقم (١): الشيخ عبد العزيز الثميني وصلته بعمان	٩٥
ملحق رقم (٢): علاقة الشيخ محمد بن محبوب بن الرحيل بالمغرب الإسلامي	١١١
ملحق رقم (٣): انتداب إلى سلطنة عمان	١٢٣
ملحق رقم (٤): تقرير عن مهمة في عمان	١٢٥
ملحق رقم (٥): تقرير عن وادي ميزاب	١٢٥

- ملحق رقم (٦): انطباع عن وادي ميزاب ١٤٥
- ملحق رقم (٧): قصيدة ١٤٧
- ملحق رقم (٨): رسالة اعتراف بالجميل ١٥٠
- ملحق رقم (٩): رسالة شكر ١٥٢
- ملحق رقم (١٠): أخي في الله (قصيدة) ١٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد و اطلاع رسانی

